مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة
(JAAUTH)
الموقع الإلكتروني: http://jaauth.journals.ekb.eg/

التَنافُسيّة بين السلاطين الأيوبيين والمماليك فى العصر المملوكى البحرى: دراسة تطبيقيّة على مدارس وقبة الصالح نجم الدين أيوب، ومدرسة الظاهر بيبرس البندقدارى، ومجموعة المنصور قلاوون المعمارية بشارع المعز لدين الله الفاطمى

أحمد مجدى سالم، [١] محمد عبدالستار عثمان، [٢] هبة الله محمد فتحى. [٣]

معلومات المقالة

الكلمات المفتاحية
التنافسية؛ ميدان بين القصرين؛ مجموعة المنصور قلاوون؛ المدارس الصالحية؛ العصر المملوكى البحرى.

(JAAUTH)
المجلد 22، العدد 3
(يونيه 2022)
ص: 1-31

الملخص

شيَّد الصالح نجم الدين أيوب مدارسه بميدان بين القصرين وألحقت أرمتله شجر الدر قبة بهذه المدارس، ومنذ هذه اللحظة أصبح ميدان بين القصرين مسار اهتمام سلاطين مصر المملوكية فتنافسوا وتباروا فيما بينهم على حركة البناء والتشييد فى منطقة الحكم الأساسية فى القاهرة المُسوَّرة ويهدف هذا البحث إلى دراسة الأبعاد التنافسية بين السلاطين الأيوبيين والمماليك وأثرها على العمارة فى العصر المملوكى البحرى. ويركِّز البحث على دراسة ثلاث منشآت معمارية فى إطار التنافسية وهم: مدارس وقبة الصالح نجم الدين أيوب، ومدرسة الظاهر بيبرس البندقدارى، ومجموعة المنصور قلاوون المعمارية. هذا وقد اتُبِعَ منهج التحليل والمقارنة فى إعداد هذه الدراسة حيث نتج أن أثَّرت التنافسية بالازدهار على العمارة، إذ حاول كل سلطان أن يظهر عمارته أكثر عظمة وشموخا مقارنة بعمارة أسلافة، فأُنتجت للتنافسية عِدة مظاهر أهمها: اختيار الموقع الدعائى وسرعة إنجاز العمارة، ومؤشر الإرتفاع بالمبنى وكذلك التنافس فى القياسات.

أهداف الدراسة:

- تفسير سبب تجمع بعض مُنشآت السلاطين فى مناطق مُعينة ومُتقابلة: كمدارس وقبة الملك الصالح نجم الدين أيوب ومدرسة السلطان بيبرس البندقدارى ومجموعة السلطان المنصور قلاوون.
- القاء الضوء على مواضع بناء المنشآت المملوكية وإظهار دورها الدعائى الذى يُحقق البعد التنافسى.
- اثبات أثر التنافسية على ازدهار العمارة والإبداع فيها بين السلاطين المُتنافسين.
- ابراز العمائر والوحدات المعمارية والعناصر المعمارية والزخرفية التى أُنشِئت بدافع التنافس.

[١] المدرس المساعد بقسم الإرشاد السياحى– كلية السياحة والفنادق – جامعة قناة السويس. (للمراسلة: ahmed_salem@tourism.suez.edu.eg)
[٢] أستاذ الآثار الإسلامية المتفرغ – كلية الآثار – جامعة سوهاج.
[٣] أستاذ الآثار الإسلامية المتفرغ – كلية السياحة والفنادق – جامعة قناة السويس.

منهج الدراسة:

– اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخى الوصفى، بالاضافة إلى اتباع منهج الاستقراء والقياس والاستنباط.

محاور الدراسة:

تُركز الدراسة بشكل أساسى على محاور عديدة أهمها:

– التنافسية فى اختيار موضع المُنشآت.

– التنافس على سرعة إنجاز العمارة.

– التأثر بمجاورة المُنشآت المعمارية والمنافسة فى التخطيط.

– الإبداع والتفوق المعمارى كأحد مظاهر التنافسية.

– مؤشر الارتفاع والقياسات كأحد مظاهر التنافسية.

المقدمة:

عُرِّفَت التنافسية على أنها نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد فى سبيل تحقيق التفوق. [٤] والتنافس من المنافسة وهى الرغبة فى الشىء ومحبة الانفراد به والمُغالبة عليه، وأصلها من الشىء النفيس فى نوعه. [٥] ويُقال تَنَافَس القوم فى كذا: أى تسابقوا فيه وتباروا دون أن يلحق بعضهم الضرر ببعض. [٦] ويُقال أيضا نَافستُ فى الشىء مُنافسة ونِفاساً: إذ رغبت فيه على وجه المُباراة وتنافسوا فيه أى رغبوا. [٧] ومن الجدير بالمُلاحظة أن تعاقب على حُكم الدولة المملوكية (٩٢٣-٦٤٨هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) ثمانية وخمسون سلطاناً منهم من طالت فترة حُكمه وامتدت إلى نحو ثلاث وأربعين سنة وشهوراً كالسلطان الناصر

---

[٤] مجمع اللغة العربية: المُعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠٢) ص ٢٢٧

[٥] ابن حجر العسقلانى (العلامة الحافظ أحمد بن على بن محمد المشهور بابن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م: فتح البارى بشرح صحيح الإمام ابى عبدالله محمد بن إسماعيل البُخارى، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ١٣ جزء، الطبعة الأولى (القاهرة: المكتبة السلفية، د. ت) ج١١، ص ٢٤٥

[٦] مجمع اللغة العربية: المُعجم الوسيط، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤) ص ٩٤٠

[٧] الجوهرى (أبى نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهرى) ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م: الصِّحاح تَاج اللغة وصِحاح العربية، تحقيق محمد محمد تامر وآخرين (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٩) ص ١١٥٨؛ ابن منظور الأفريقى المصرى (الإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى) ت ٧١١هـ/ ١٣١١م: لِسانُ العرب، ١٨ جزء، طبعة جديدة ومُنقحة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤) ج١٤، ص ٣٢٢؛ الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى) ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م: القاموس المُحيط، تحقيق: أبوالوفا نصر الهُورينى (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨) ص ١٦٣٥؛ وهناك دراسات عرضت لماهية التنافس وأسبابه وتأثيراته، للاستزادة راجع: حامد عبدالسلام زهران: عِلم النفس الاجتماعى، الطبعة الخامسة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤) ص ٧-٥١، ٣٩٣-٣٩٤؛ عدنان عبدالله عبيدات، التنافس السياسى فى الدولة العباسية بين التيارين الفارسى والعربى ١٧٠-١٨٧هـ/ ٧٨٦-٨٠٢ م "ولاية العهد أنموذجا"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية مُجلد ٢٥، عدد ٢ (٢٠١٧) ص ص. ١٥٧-١٧٤

محمد بن قلاوون، ومنهم من حكم ليلة واحدة كالسلطان الملك الأوحد بيدرا. وكان هناك تنافس دائم بين هؤلاء السلاطين على تولى منصب السلطنة، وقد انسحب هذا التنافس على العمارة الإسلامية بشتى أنواعها على اعتبار أن العمارة هى مرآة العصر، وهى السجل الذى يُدون تاريخ الدول المُتعاقبة كما أن العمارة تُقدم صورة كاملة عن المُنشىء وإمكاناته. وقد أدرك السلاطين أن التعاظم بالعمارة فيه إظهار لعُلو الهمة وتخليد الذكرى، بالتالى تنافس كل سلطان مع أسلافة من السلاطين على تبنى حركة تشييد العمارة، فبذل كل ما فى وسعه ليُظهر همته وتفوقه وإبداعاته على غيره.

وقد عُرف عن الظاهر بيبرس البندقدارى حُبه وعِشقه لحركة التشييد والعمارة،[٨] وقد أدرك الظاهر بيبرس جيداً أن بقاء الآثار تقُوم لمؤُثِرها مَقام تُطَاوِلُ الأعمار، وأن مَنْسِيَّ الذِّكر بها يتجدد وهمة المؤُثر تُظهر بما عنه يُخَلَّد، فأعمل الظاهر فِكره فى ابتناء ما قصَّر عنه الملوك الأوائل.[٩] وقد بُنى فى أيامهِ بالديار المصرية ما لم يُبْنَ فى أيام الخلفاء المصريين ولا ملوك بنى أيوب من الأبنية.[١٠] فقد وصَّف ابن شداد هِمة الظاهر بيبرس وازدهار عمائرة فقال:

" فَبنى الظاهر بيبرس من الجوامع والمساجد والمعابد والمشاهد والقصور الرفيعة التى من دونها سبل العهاد، وبنى من المنازلِ التى ضاهت إرمَ ذاتِ العماد، وأزرى إشراقها بالمُشترى، وعانقت شُرَّفاتها قِطع السحاب الممطر ودلَّ إتقانها على هِمة مُنشئِها، فلو رآها الرَضِىّ لَعلِم أنها أحقّ بأن يّقال فيها: شَهدت بفضلِ الرافعين قِبابُها وَيَبِيـنُ بالبُنيانِ فضلُ البَانى".[١١]

ومن الواضح أن العمارة فى عهد الظاهر بيبرس شهدت تطورا وازدهارا بارى به كل من سبقه من السلاطين العظام، وبلغت شموخ العمارة فى عهده حدا كاد أن يبلغ عنان السماء.[١٢] وقد كان من أسباب هذا الازدهار عامل المنافسة بين الظاهر بيبرس ومن سبقوه من الحكام وبالأخص الملك الصالح نجم الدين أيوب.

١- منافسة الظاهر بيبرس لأستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب على عمارة المدرسة:

اتخذت المنافسة بين الظاهر بيبرس والملك الصالح نجم الدين أيوب مظاهر عِدة تعرضها الدراسة على النحو التالى:

---

[8] Dina Ghaly: The Shāri‘ al-A‘ẓam in Cairo: Its Topography and Architecture in the Mamluk Period, a doctorate thesis (University of Toronto: Department of Near and Middle Eastern Civilization, 2004) p. 71

[٩] ابن شداد (عزالدين محمد بن على بن ابراهيم بن شداد) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م: تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط (بيروت: دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، ١٩٨٣) ص ٣٣٩

[١٠] ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى) ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م: البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركى، ٢١ جزء، الطبعة الأولى (القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ١٩٩٨) ج ١٧، ص ٥٣٤؛ سعيد عبدالفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، سلسلة أعلام العرب (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومى، د. ت) ص ١٥٧

[١١] ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٣٩

[١٢] ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٣٩

١-١- المنافسة فى اختيار موقع المدرسة:

سار السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى على سياسة من سبقة من حُكام مصر فى تجميل وتعمير مدينة القاهرة وضواحيها. [١٣] وكان أول مظاهر هذا التعمير هو انشائه لمدرسته بِخُط بين القصرين، فلم يكن اختيار الظاهر بيبرس لموقع المدرسة اختياراً عشوائياً، بل كان مدروساً بشكلٍ متأنٍ وجيد حيث اختار بيبرس بناء مدرسته مُجاورة لقبة ومدارس أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب، [١٤] وربما جاء اختيار هذا الموقع بغرض المنافسة فى إطار التقليد. [١٥] فكما استحوذ الملك الصالح نجم الدين أيوب على موضع من جملة القصر الشرقى الكبير لبناء مدارسه عليه لُوحِظ أن قَلَّده الظاهر بيبرس فى ذلك واختار موضعا من القصر الشرقى الكبير عُرِف بقاعة الخِيَم: وهذه القاعة كانت ضمن قاعات القصر الشرقى الكبير ولا يُمكن أن تؤل إلى الملك الظاهر بيبرس إلا بطريقة شرعية ووفقاً للأحكام الفقهية، بالتالى وجب على الظاهر بيبرس استبدالها أو شرائها كسبيل للاستحواذ عليها؛ لكى يتمكن هو من استغلالها وبناء مشروعه المعمارى، فاختار بيبرس شراء هذه القاعة وفوَّض هذا الأمر للقاضى كمال الدين طاهر بن الفقيه نصر – وكيل بيت المال – فنزل القاضى كمال الدين وقوَّم قاعة الخِيَم هذه وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن العماد ابراهيم المقدسى – شيخ الحنابلة ومُدرس المدرسة الصالحية النجمية – ثم باعها للسلطان الظاهر بيبرس البندقدارى. [١٦] حينئذ شرع الظاهر بيبرس فى هدم هذه القاعة وأمر ببناء مدرسة له فى هذا الموضع عُرفت فيما بعد بالمدرسة الظاهرية العتيقة. [١٧] وكان ابتداء عمارتها فى الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ٦٦٠هـ/ مُستهل شهر مارس عام ١٢٦٢م، [١٨] وأُنجز بابها ودهليزها وإيوانها البحرى وكتاب السبيل فى أواخر شعبان من

---

[١٣] محمد جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨) ص ١٥٤

[١٤] ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م: الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، أحمد السيد دراج (جامعة أم القرى: مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى، ١٩٨٢) ص ٢٨٥-٢٨٦

[15] Muhammad Hafez Shaaban: Piety and Power: Pious Endowments in the Bahrī Mamlūk Period (1250–1382) a master thesis (American University of Cairo: School of Humanities and Social Sciences, 2015) p. 52

[١٦] المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م: المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، ٦ مجلدات، تحقيق أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان ،١٩٩٥-٢٠٠٣) ج٤، ص ٥٠٥

[١٧] سُميت بالمدرسة الظاهرية العتيقة بعد بناء الظاهر برقوق لمدرسته فى موضع قريب. للاستزادة راجع المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٠٥

[١٨] اختلف المقريزى مع بعض المؤرخين فى تحديد يوم البناء؛ فقرر المقريزى بأن الشروع فى بناء المدرسة كان فى الثانى من ربيع الآخر سنة ستين وست مائه، فى حين أن مُحى الدين بن عبدالظاهر والنويرى أكدوا ابتداء العمارة فى الثامن من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة. ويميل الباحث إلى رواية المؤرخين الأخيرين التى تشير إلى الثامن من شهر ربيع الآخر؛ مستنداً بأن مُحى الدين بن عبدالظاهر والنويرى هم قريبى عهدٍ من فترة بناء المدرسة؛ حيث توفى الأول عام ٦٩٢هـ، وتوفى الأخير عام ٧٣٣هـ، فى حينٍ أن المقريزى قد توفى عام ٨٤٥هـ، إذ يفصله عن تاريخ بناء المدرسة قُرابة القرنين من الزمان، أى حوالى ١٨٥ سنة. ورُبما يرجع الاختلاف بين الروايات التاريخية فى تحديد يوم البناء إلى خطأ فى النسخ غالبا. للاستزادة راجع: ابن عبدالظاهر (محى الدين أبو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصرى) ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م: الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الطبعة الأولى

السنة المذكورة، ولم يشرع فى بنائها حتى رَتَّب الظاهر أمور أوقافها، فضلا عن تكليفه للأمير جمال الدين بن يغمور [١٩] بأن لا يُستعمل أحداً فى البناء إلا بأجرته، ولا يُنقص من أجرته شيئاً. [٢٠]

١-٢- التنافس على سرعة إنجاز عمارة المدرسة:

يُعد إنجاز البناء فى أقل وقت ممكن أمر اهتم به المنشئون فى العصر المملوكى فى إطار إثبات الجدارة وعلو الهمة، ومن ثمّ كانت سرعة الإنشاء من الدلائل المشيرة إلى ذلك. وقد استُهل البدء فى عمارة المدرسة الظاهرية العتيقة فى الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ٦٦٠هـ/ مُستهل شهر مارس عام ١٢٦٢م، ولم تستغرق عمارة هذه المدرسة طويلاً حتى انتهت وأُنجزت فى مستهل سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م، [٢١] أى أنها لم تتجاوز سوى ٢١ شهراً فقط. وربما بذل الظاهر بيبرس قصارى جهده لكى ينجز عمارة مدرسته فى أقل وقت ممكن محاولاً إظهار عظمته وعلو همته فى البناء وسرعة إنجازه، وربما تأثَّر الظاهر بيبرس بأستاذه الصالح نجم الدين أيوب وضاهاه فى إطار سرعة إنجاز العمارة.

ومما يجدر ملاحظته أن المدارس الصالحية بخط بين القصرين قد أُنجِزت فى حدود ٢٠ شهراً تقريباً، وقد أشار المقريزى إلى تاريخ بدء وانتهاء العمل بهذه المدارس فى روايته قائلا:

> " **تم وضع أساس المدارس فى رابع عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة، ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة فى سنة إحدى وأربعين وستمائة، وهو [٢٢] أول من عمل بديار مصر والشام دروساً أربعة فى مكان واحد** ". [٢٣]

(الرياض:١٩٧٦) ص ٩٠؛ النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى) ت ٧٣٣هـ: نهاية الأرب فى فنون الأدب، ٣٣ جزء، تحقيق إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠٠٤) ج٣٠، ص ٥٧؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٠٥

[١٩] هو الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، ولد فى جمادى الآخرة سنة ٥٩٩هـ بقوص فى صعيد مصر وتوفى فى مستهل شعبان عام ٦٦٣هـ. فكان ذى منزلة عند الظاهر بيبرس، ولم يكن يضاهيه أحد من الأمراء فى منزلته وشجاعاته وقربه من الملوك، وكان أميراً جليلاً خبيراً حازماً ممدوحاً ، وكان الملك الظاهر إذا عمل مشورة وتكلم مع خشداشيته من الأمراء فلا يصغى إلا إلى قول ابن يغمور هذا ، ويفعل ما أشار به عليه للاستزادة راجع: ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزء ، تحقيق: نخبة من العماء، نسخة مُصورة من طبعة دار الكتب (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١) ج٧، ص ٢١٨

[٢٠] ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص ٩٠؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٣٠، ص ٥٧؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٠٥

[٢١] العينى (بدر الدين محمود العينى) ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: عصر سلاطين المماليك، ٥ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠١٠) ج١ ، ص ٥٥٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٢١٣

[٢٢] يقصد السلطان الصالح نجم الدين أيوب

[٢٣] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٤٨٥

ويُفهم من رواية المقريزى أن أعمال البناء قد تمت فى سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م ويؤكد ذلك النص الإنشائى أعلى بوابة المدارس الرئيسية ونصه:" **بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذه المدارس المباركة مولانا السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدين والدنيا أبوالفتح أيوب خليل أمير المؤمنين أعز الله نصره فى سنة إحدى وأربعين وستمائة** ". (لوحة رقم: ١)

وقد لاحظنا أن حدد المقريزى تاريخ استهلال البناء بشكل دقيق من خلال ذكر اليوم والشهر والسنة إلا أنه اقتصر على ذكر سنة الإنتهاء فقط دون تحديد اليوم والشهر، وكذلك اقتصر أيضا النص الإنشائى على تحديد سنة الإنتهاء فقط وهى سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م. وربما انتهى البناء فى أى شهر من شهور سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م، وإذ افترضنا أن عمارة المدراس الصالحية قد انتهت مع نهاية سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م – أى إبان شهر ذو الحجة من السنة المذكورة – فتُصبح مُدة بناء هذه المدارس عشرون شهراً تقريباً وهذا على أقصى تقدير ممكن وربما كانت أقل من ذلك إذا تم تحديد شهر الانتهاء من العمل، وسواء أُنجِز البناء فى حدود عشرين شهر أو أقل فإن ذلك يدل على سرعة إنجاز العمل فى فترة وجيزة، ومن ثمّ أثبت المنشئ جدارته فى سرعة إنجاز العمارة وأظهر علو همته.

ولا غرو أن يُضاهى الظاهر بيبرس فى سرعة إنجاز عمارته لأستاذه الصالح نجم الدين أيوب، ومن ثمّ يُظهر فى البناء همته ويعلو فى الآفاق سمعته ويتحاكى العامة من الناس بعظمته ولا غرابة فى ذلك خصوصا أن بيبرس قد نافس أستاذه من قبل واختار مجاورته، بالتالى حقق بيبرس ما كان يصبوا إليه: فأنجز عمارة مدرسته فى حدود ٢١ شهرا فقط وهى فترة مُتقاربة لأستاذه، وجدير بالذكر أن اعتُبر بيبرس أنموذجا احتذى به سلاطين وأمراء مصر المملوكية فيما بعد، وأصبح التنافس على سرعة الانتهاء من العمارة وإنجازها فى أقل وقت ممكن أحد أهم مظاهر التنافسية التى انعكست على العمارة بالازدهار.

١-٣- تأثُّر الظاهر بيبرس بمجاورة أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب ومنافسته فى تخطيط المدرسة:

جاء تخطيط المدارس الصالحية فريد من نوعه حيث انقسم إلى قسمين: القسم الجنوبى وهو عبارة عن إيوانين متقابلين خُصصا لتدريس المذهب الحنفى والمذهب الحنبلى، ويُقابله القسم الشمالى الذى يتألف من إيوانين متقابلين خُصصا للمذهب الشافعى والمالكى، وربما كان هذين القسمين مُتماثلين وكان يفصل بينهما حارة الصالحية. [٢٤] (شكل رقم: ١) كما زُودت

[٢٤] عُرفت حارة الصالحية بغلمان الصالح طلائع بن رُزيك، وهى موضعان: الصالحية الكبرى والصغرى وموضعهما فيما بين المشهد الحسينى ورحبة الأيدمرى وبين البرقية، وكانت من الحارات العظيمة، وقد خربت على عهد المقريزى. للاستزادة راجع: المقريزى: الخطط، ج٣، ص ٣٢؛ وجدير بالذكر أن اختلف الباحثين على تحديد ماهية المساحة الفاصلة بين قسمى المدارس الصالحية: فأشار كريسويل إلى هذه المساحة وعرفها على أنها حارة فاصلة، بينما افترض أحمد فكرى أن هذه المساحة كانت مسجد جامع لخدمة قاطنى المدارس كما اعتبرت سعاد ماهر هذه المساحة بمثابة صحن للمدارس. للاستزادة راجع:

Creswell, K. A. C: the Muslim Architecture of Egypt, 2 Vols (London: Oxford University Press, 1959) II, p. 94; =

المدارس بخلاوى لسكن الطلاب والشيوخ وغيرهم من قاطنيها، وقد لوحظ أن عفى الزمان على المدارس الصالحية ولم يتبق منها سوى الإيوان الشمالى الغربى من القسم الشمالى وواجهة المدارس الرئيسية المطلة على شارع المعز، وبوابتها العظيمة التى تعلوها المئذنة وقبة الصالح نجم الدين أيوب المُلحقة بالوجهة من ناحية الشمال. (شكل رقم: ٢) ويُفهم من تخطيط المدارس الصالحية أن إيواناتها الأربعة لم تكن مُتقابلة على صحن واحد ومتصلة.

وربما تأثر الظاهر بيبرس بمجاورة أستاذه فلُوحِظ أنه حاول تقليده فى تخطيط مدرسته تارة، وأظهر تفوقه عليه تارة أخرى. فمن مظاهر تقليد بيبرس لأستاذه أن زود مدرسته ببيوت وخلاوى مُعدة لسكن الطلاب وقاطنى المدرسة من الشيوخ، كما زودها بخزانة كتب جليلة على غرار المدارس الصالحية. [٢٥] وكانت إيوانات المدرسة الظاهرية أحد مظاهر التقليد أيضا حيث جاءت مُساواية فى العمق لإيوانات المدارس الصالحية، ولعل الأعمال الآثرية والرفع المعمارى الذى قام به كريسويل (Creswell) فى المدرسة الظاهرية أثبت أنها كانت من كبريات مدارس العصر المملوكى فى الحجم وكانت إيواناتها مساوية فى العمق للمدارس الصالحية، [٢٦] كما أن أسلوب التغطية فى إيوانات المدرسة الظاهرية هو نفس الأسلوب الذى كان مُتبع فى المدارس الصالحية من حيث كونه أقبية قطاعها مُدبب من الآجر المكسى بطبقة الملاط. [٢٧]

ومن اللافت للذكر أن حاول بيبرس إظهار مدرسته أكثر تميزا وتفوقا على مدارس أستاذه المجاورة، فجاء تخطيط مدرسة الظاهر بيبرس عبارة عن إيوانات أربعة مُتقابلة يتوسطها صحن (شكل رقم: ٣) وخصص إيوان القبلة لتدريس المذهب الشافعى، بينما خصص الإيوان الذى تجاهه لتدريس المذهب الحنفى، كما خصص الإيوان الذى على يمنة الداخل للقرآت السبع للقرآن الكريم، وجعل الإيوان الذى يقابله لتدريس الحديث النبوى الشريف.[٢٨] ولعل هذه المدرسة هى أول نموذج للمدارس ذات الإيوانات الأربعة المتقابلة التى يتوسطها الصحن، [٢٩] وربما تعمَّد بيبرس تخطيط إيوانات مدرسته بهذا الشكل محاولا تحقيق التفوق على مدارس أستاذه المجاورة والتى افتقدت هذا التخطيط المتقابل والمتصل، ليس هذا فحسب بل زود بيبرس مدرسته بسبيل يعلوه كتاب يُعلَّمُ فيه الأيتام القرآن الكريم ويُصعد إليه بدرج حجرى، [٣٠] وتُعد هذه الوحدة المعمارية أحد أهم

= أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها: العصر الأيوبى، الجزء الثانى، الطبعة الثانية (القاهرة: دارالمعارف، ٢٠٠٨) ص ٧٤، سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٢) ج٢، ص ٢٣٢-٢٣٤

[٢٥] المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢ جزء، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٩٧) ج١، ق٢، ص ٥٠٤

[26] Creswell, K.A.C, The works of Sultan Bibars al-Bunuqdārī in Egypt, BIFAO, Vol. 26 (1926) PP. 129-193, (p. 136); Creswell, K. A. C: the Muslim Architecture of Egypt, II, p. 144-145

[٢٧] حسنى محمد نويصر، دراسة لأجزاء هامة من بقايا مدرسة السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى بالقاهرة ٦٦٠/٦٦٢هـ - ١٣٦٢/١٣٦٣م، مجلة كلية الآثار، العدد ٤ (١٩٩٠) ص ص. ١-٣٩ (ص٣)

[٢٨] ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٤٤

[٢٩] محمد عبدالستار عثمان: مُسميات المنشآت الدينية المملوكية وعلاقتها بالتخطيط والوظيفة، الطبعة الأولى (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٨) ص ٣٧

[٣٠] ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٤٤

مظاهر التفوق التى ميزت مدرسة الظاهر بيبرس على مدارس أستاذه التى افتقدت مثل هذه الوحدة المعمارية، هذا وقد استغل بيبرس المساحة بين مدرسته ومكتب السبيل وشيد بها الميضأة. [٣١] للأسف الشديد لم تبق المدرسة الظاهرية لتبوح لنا بمظاهر أخرى للتنافسية حيث هُدمت عام ١٨٧٤ لافتتاح طريق جديد من سوق النحاسين إلى ميدان بيت القاضى، [٣٢] ولم يتبق منها سوى بقايا الإيوان الجنوبى الغربى وبقايا النص الإنشائى الذى كان يزدان به مدخل المدرسة. (لوحة رقم: ٢)

٢- حرص الشعراء على إظهار التنافسية فى أشعارهم إبان افتتاح المدرسة الظاهرية:

افتُتحت المدرسة الظاهرية فى الخامس من صفر سنة ٦٦٢هـ/ السابع من ديسمبر ١٢٦٣م واجتمع بها أهل العلم والآدباء والفقهاء، ودَرَّس المدرسون، [٣٣] واندفع الشعراء يمتدحون البناء وصاحبه، فأظهروا بشعرهم أبعاد الظاهر بيبرس التنافسية التى برزت همته وتفوقه المعمارى ولعل الأديب السّرّاج عُمر الوَرّاق كان أول من انتصب مادحا البناء وصاحبه فقال:

مَليكُ لـه فى العِلم حُبٌّ وأهلـه ... فلله حُبٌّ ليس فيه مَلامَ

فشَيَّدّها للعِلم مَدرسَةً غَدا ... عِراقُ إليها شَيّقُ وشآمُ [٣٤]

ولا تَذْكُرنَّ يوماً نِظاميَّةً لها ... فليس يُضاهى ذا النِّظام نظامُ [٣٥]

ولا تذكرنّ مَلكاً فبَيْبَرس مالِك ... وكُلُّ مَليكٍ فى يَدَيه غُلامُ

ولماً بَنَاها زَغْزَعت كلَّ بِيعَةٍ ... متى لاحَ صُبْحُ فاستقر ظلامُ

وقد بَرزت كالرَّوْضِ فى الحُسنِ أنبأت ... بأن يّدّيه فى النَّوالِ غَمامُ

ألم تَرَ مِحراباً كأنَّ أزاهِرا ... تَفَتَّح عنهُن الغَداةَ كِمامُ [٣٦]

[٣١] ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٤٤؛ محمد جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره، ص ١٥٤

[32] Caroline Williams, Islamic Monuments in Cairo; the Practical Guide, 5th edn (Cairo: American University in Cairo Press, 2002) p. 164; Muhammad Hafez Shaaban: Piety and Power, p. 55

[٣٣] النويرى: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٥٧؛ العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: عصر سلاطين المماليك، ج١، ص ٣٨٢؛ المقريزى: السلوك، ج١، ق٢، ص ٥٠٤

[٣٤] يُشير الشاعر هنا إلى سمعة المدرسة الظاهرية والتى وصل صداها إلى بلاد العراق وبلاد الشام، وهذا وإن دلَّ فإنه يدل على همة وعظمة المنشئ مقارنة بنظرائه.

[٣٥] يؤكد الشاعر هنا على عالمية المدرسة الظاهرية ومُضاهاتها للمدارس النظامية التى تأسست على يد نظام الملك ببغداد، وهذا يُبرز ملامح المنافسة الخارجية مع الغير.

[٣٦] يُثنى الشاعر على محراب المدرسة الظاهرية ويُشبهه من حُسنه بالزهور التى تتفتح فيما بين الفجر وطلوع الشمس، وربما كان هذا المحراب قد زُخرف بزخارف فريدة كالفسيفساء؛ مما أبهر الشاعر وجعله يشبهه بالزهور المتفتحة، وربما كان هذا المحراب أحد مميزات هذه المدرسة وربما كان أيضا أحد مظاهر التنافسية التى انعكست على البناء بالازدهار، وللأسف الشديد لم يتبق منه شئ البته ولم

وقام الأديب أبوالحسن الجزار فأنشد قائلا:

ألا هكذا يُبنى المدارس مـــنْ بنى ومن يتغالى فى الثوب وفى الثَّنا [٣٧]

لقد ظَهرت للـظاهر المَـلِك هِـــمَّةٌ [٣٨] **بها اليوم فى الدَّارين قد بلغ المُنا**

تَجمَّع فيـها كُـل حُسنٍ مُـــــفرَّقٍ فراقت قُلـــوبا للأنـام وأعـــيُناً [٣٩]

ومُذْ جاورتُ قُبر الشهيد فنفسه النَّ فيسة منها فى سُرُورٍ وفى هَـنا [٤٠]

وما هى إلاَّ جَـنَّةُ الخـلدِ أزْلفَـــت له فى غَدٍ فاختار تعْجِيلها هُـنا [٤١]

وقد شارك الأديب الجمالى يوسف بن الخشاب فى هذا الحفل بأشعاره فأنشد قائلا:

قصد المُلوكُ حِماكَ والخُلفاءُ فافْخَر فإنَّ مَحـلَّك الجَوْزاءُ

أنت الذى أُمراؤُه بين الـوَرى مِثْل الملوكِ وجُـندُه أُمراءُ [٤٢]

مَلِكٌ تُزيَّنَتِ الممالِكُ باسـمهِ وتجمَّلت بمدِيحِه الفُصحاءُ

وترفَّعت لعُلاهُ خيرُ مَـدارِسٍ حَلَّت بها العُلماءُ والفضلاءُ [٤٣]

نحصل له على لوحة من رسومات المستشرقين. للاستزادة راجع: ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص ١٨٤-١٨٥؛ العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان : عصر سلاطين المماليك ، ج١، ص ٣٨٣؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٠٨

[٣٧] يُظهر الشاعر غُلو الثواب الجزيل والثناء العظيم الذى سوف يناله الظاهر بيبرس من فضل بنائه لهذه المدرسة، ومن ثم يُدرج ضمن رُعاة مثل هذه المنشآت ويعلو نجمه.

[٣٨] يشير الشاعر إلى همة الملك الظاهر التى أراد أن يُظهرها ببنائه لهذه المدرسة، وهذه الهمة أمر رغب بيبرس فى إبرازه كأحد مظاهر التنافسية.

[٣٩] لم يقنع الظاهر بيبرس أن يجعل مدرسته تقليدية، بل جمع لها كل حسن وأنيق بحيث يتفوق على أسلافه وقد انعكس ذلك على عمارة المدرسة وجذبت قلوب من دخلها وأثارت دهشة من شاهدها من حسنها.

[٤٠] يشير الشاعر إلى البعد التنافسى فى مجاورة الظاهر بيبرس لأستاذه ويتصور انعكاس هذه المجاورة بالبهجة على روح الملك الصالح من حيث تبنى مملوكه لحركة التشييد على خطاه من بعده ومن ثم يُصبح امتدادا له.

[٤١] يظهر الشاعر فضل اختيار موقع المدرسة فى هذا المكان كرمزية لنيل الثواب والفوز بالجنة، وقد اختار بيبرس هذا المكان بأناة كأحد مظاهر التنافسية وقد أشرنا لذلك من قبل. للاستزادة راجع: ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص ١٨٥؛ العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: عصر سلاطين المماليك ، ج١، ص ٣٨٤؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٠٨

[٤٢] يظهر الشاعر عظمة بيبرس وتمييزه لأمرائه الذين كانوا بمثابة ملوك، كما ميَّز جنده أيضا واعتبروا أمراء لعظمتهم ورعاية بيبرس لهم.

[٤٣] يشير الشاعر إلى دور مدرسة الظاهر بيبرس فى إظهار عظمته وتميزها على غيرها باحتفائها بجملة من العلماء والفضلاء المشهورين.

تَبقى كما يَبقي الزَّمانُ ومُلْكُه باقٍ لـه ولِحـاَسِدِيه فَنـــاءُ [٤٤]

كَم للفرنجِ وللـتتار ببـــابِ رُسُلٌ مُناهاَ العَـفْوُ والإعْـفاءُ

وطريقُه لبـــلادِهم مَوْطُوءةٌ وطَـريقُـهم لبـلادِه عَـــذْرَاءُ

دَامَت له الدنيا ودَامَ مُـخَلَّداً ما أَقْبَـلَ الإصْـــبَاحُ والإمساءُ [٤٥]

٣- منافسة المنصور قلاوون لأستاذه الصالح نجم الدين أيوب فى عمارته الكائنة بشارع المعز:

اتخذت المنافسة بين الملك المنصور قلاوون والملك الصالح نجم الدين مظاهر عِدة تعرضها الدراسة على النحو التالى:

٣-١- التنافسية فى اختيار الموقع:

اختار قلاوون أن يشيد مجموعة معمارية – تألفت من قبة ومدرسة وبيمارستان ومكتب السبيل وحوض – بأناة فى مواجهة أستاذه الصالح نجم الدين أيوب ببين القصريين. [٤٦] فقد شاهد قلاوون قبة أستاذه الصالح وما بها من عظمة وضخامة، فشرهت نفسه أن ينافسه فى عمارة قبةٍ خاصة به تكون مواجهة لأستاذه. [٤٧] فاشترى قلاوون الدار القطبِّية بخط بين القصرين من خالص ماله وعوض سكانها قصر الزمرد برحبة باب العيد فى الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٨٢هـ/ الخامس عشر من شهر يونيو ١٢٨٣م، وعهد إلى الأمير علم الدين سِنجر الشجاعى مُشِداً على عمارتها قبةً ومدرسة وبيمارستاناً،[٤٨] وأمره بأن يبنى القبة فى مواجهة أستاذه الصالح نجم الدين أيوب، [٤٩] فأظهر سِنجر من الاهتمام فى عمارتها ما لم يُسمع بمثله من قبل.[٥٠] فابتدأ فى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م بعمارة القبة، ثم أنشأ فى مواجهتها مدرسة لتدريس المذاهب السنة الأربعة وتبنى الحركة العلمية، كما زود البناء ببيمارستان عظيم أطلق عليه البيمارستان المنصورى. [٥١] هذا وقد أمر قلاوون أن تُنقل

---

[٤٤] يظهر الشاعر حذق بناء المدرسة وأثر ذلك على بقائها على مر الزمان، وربما تسببت فى حسد الغير للظاهر بيبرس من حسنها.

[٤٥] ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص ١٨٥؛ العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان : عصر سلاطين المماليك ، ج١، ص ٣٨٣؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥١٠

[46] Muhammad Hafez Shaaban: *Piety and Power*, p. 57

[٤٧] المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ملحق رقم (٩) ص ٩٩٧؛ حسن الباشا: سيف الدين قلاوون وعمائرة: بحث ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ٥ أجزاء، الطبعة الأولى (بيروت: أوراق شرقية، ١٩٩٩) ج١، ص ٣٣٨؛ حسن الباشا: بيمارستان قلاوون: بحث ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ٥ أجزاء، الطبعة الأولى (بيروت: أوراق شرقية، ١٩٩٩) ج١، ص ٣٨٠

[٤٨] النويرى: نهاية الأرب، ج٣١، ص ٧٠؛ المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص ٧١٦-٧١٧؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥١٣

[٤٩] الخزندارى (الأمير شهاب الدين قُرطاى العِزى الخزندارى) ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م: تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، تحقيق هورست هاين و محمد الحجيرى (بيروت: ٢٠٠٥) ص ١٩٣

[٥٠] المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص ٧١٧

[٥١] ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ٥ أجزاء، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ج١، ق١، ص ٣٥٣

من القلعة التى بناها أستاذه الصالح نجم الدين أيوب بالروضة [٥٢] كل ما يُحتاج إليه من عُمد الصوان وعُمد الرخام وتُستخدم فى عمارة مجموعته التى نحن بصددها بميدان بين القصرين، فضلاً عن استيلائه أيضاً على رخامٍ كثيرٍ وأعتابٍ جليلةٍ من هذه القلعة وإعادة استخدامها فى مجموعته المعمارية. [٥٣]

ومن المُلاحظ أن حركة نقل العناصر المعمارية من قلعة الروضة وإعادة استخدامها فى عمارة مجموعة قلاوون تُمثِل أبعاداً نفسيةً وسياسية دفينة بداخل قلاوون تجاه أستاذه الصالح خصوصاً أن قلعة الروضة قد تم الاعتناء بها فى عهد السلطان بيبرس البندقدارى بعدما خَرِبت على يد السلطان المُعز أيبك التركمانى، [٥٤] والذى اقتدى به فى التخريب ذوى الجاه: فأخذوا كثيراً من سقوفها ونوافذها، وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة، ومع هذا التخريب المُمنهج والإهمال فقد أعاد إليها الظاهر بيبرس بهجتها ورونقها لما آلت إليه سلطنة مصر، [٥٥] فأمر بعمارتها ورسَّم لعدة أمراء بترميمها وإعادتها إلى ما كانت عليه فى أيام الصالح نجم الدين أيوب، ومن جملة الأمراء المنوطين بأعمال الترميم كان الأمير قلاوون آنذاك الذى أبدى عُلو الهِمة فى ترميم برج الزاوية. [٥٦]

ولكن سرعان ما تبدل موقف قلاوون عندما صارت مملكة مصر والشام فى قبضته وأصبح سلطاناً، فبدت أبعاده النفسية والسياسية فى الظهور تجاه أستاذه الصالح نجم الدين أيوب وعمائره، فنقض قلعة الروضة – بعدما رممها من قبل وهو أمير– واستخدم بعض عناصرها المعمارية فى عمارة مجموعته الكائنة بشارع المعز. ونعتقد أن حركة نقض القلعة واستعمال عناصرها فى منشأته ما هى إلا محاولة لمحو أثر مهم من آثار أستاذه، ومحاولة إخفاء وإزالة ما يُذَكِّر قلاوون أمام معاصروه أو أمام من سيأتى بعده بأصوله وتبعيته بأنه كان عبداً ومملوكاً يوماً ما فى حوزة الصالح نجم الدين أيوب وبداخل أبراج هذه القلعة قد تربى ونشأ، فهدْم رمزاً كهذا يُلبى رغبة قلاوون ويخدم رسالته التى يريد أن يُروجها خصوصاً أن إعادة استخدام عناصرها فى مجموعته المواجهة لنفس الشخص المُتنافَسُ معه تجعل مجموعة قلاوون أعلى فى الارتفاع والضخامة وتجعلها أكثر بهاء من قبة أستاذه بميدان بين القصرين.

---

[٥٢] قلعة الروضة بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب على مساحة ٦٥ فداناً بجزيرة الروضة، وقد سكنها مع مماليكه – الذين كانت عِدتهما آنذاك حوالى الف مملوك – بعدما انتقل من قلعة الجبل. راجع: عبدالرحمن زكى، إمتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك (١٥١٧-٩٦٩م) أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة: مارس – ابريل ١٩٦٩م، الجزء الثانى (١٩٧١) ص ص. ٦١٧-٦٤٣ (ص ٦٢٨)

[٥٣] السيوطى (الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م: كوكبُ الروضة فى تاريخ النيل وجزيرة الروضة، تحقيق محمد الششتاوى ، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٢) ص ٨٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٣٥٣

[٥٤] لم تزل قلعة الروضة عامرة حتى أُسدل الستار على دولة بنى أيوب، فلما اعتلى المعز أيبك التركمانى سُدة الحكم والسلطنة خَرَّب قلعة الروضة وأمر بهدمها، وفكك أحجارها وأعاد استخدامها فى بناء مدرسته التى قرر أن يُشيدها بالقرب من مقياس النيل بجزيرة الروضة. راجع: السيوطى: كوكبُ الروضة، ص ٨٦؛

Doris Behrens Abouseif: *Cairo of the Mamluks*, p. 54

[٥٥] السيوطى: كوكبُ الروضة، ص ٨٦؛ عبدالرحمن زكى، إمتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك (ص٦٢٩)

[٥٦] السيوطى: كوكبُ الروضة، ص ٨٦؛ عبدالرحمن زكى، إمتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك (ص٦٣٥)

٣-٢- المنافسة فى سرعة إنجاز العمارة وإتمام العمل:

يبدو أن عامل السرعة والانتهاء من البناء كان بإلحاح من قلاوون ذاته على مُشِد عمارته سنجر الشجاعى، ورغِب قلاوون فى الانتهاء بسرعة من العمارة حتى قِيل أن هذا البناء قد تم وأُنجز فى مدة أحد عشر شهراً وأيام. [٥٧] وأُثبت ذلك فى نص الإنشاء الذى هو بمثابة الإعلان عن ماهية المنشأة والمنشئ وتاريخها، فجاء النص كالتالى:" **أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة والبيمارستان المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى وكان ابتداء عمارة ذلك فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منه فى جمادى الأول سنة أربع وثمانين وستمائة**". [٥٨] (لوحة رقم : ٣)

وقد استنكر مؤرخو العصر أمثال: النويرى والمقريزى المدة الزمنية القليلة التى أُنجز فيها العمل بالمقارنة مع عظمة البناء وضخامته، حيث صَرَّحوا أن البناء عُمِّر فى أيسر مدة وإذا شاهد الرائى هذه العمارة العظيمة وسمع أنها عُمِّرت فى هذه المدة القريبة ربما أنكر ذلك.[٥٩]

وخلال الدولة المملوكية كان يحدث أن يَعمد المُنشئ بافتتاح منشآته وكتابة وثيقة الوقف عند الانتهاء من الواجهة أو الانتهاء من إيوان القبلة، ثم تُستكمل أعمال البناء والزخارف فيما بعد. ولسنا الآن بصدد التحرى وراء عدد السنوات التى اتخذتها واستغرقتها المجموعة المعمارية لتكتمل وتنتهى، ولكن يكفينا أن نشير أن المنصور قلاوون ضاهى وحاكى استاذه الصالح فى السرعة على البناء وكذلك اتُبع ذات السلوك فى مدرسة خشداشة الظاهر بيبرس والمقابلة له، والتى استغرق بناؤها ٢١ شهر فقط. فيبدو أن المنصور قلاوون عَمد على إظهار عمارته أضخم وأبهى من عمائر أسلافه وأسرع فى سرعة الإنجاز والانتهاء منها إذا ماقورنت بعمائر المجاورين من السلاطين أسلافه.

٣-٣- مظهر التنافس فى عمارة القبة وتفوق قلاوون على أستاذه:

عندما كَمُلَت القبة والمدرسة والبيمارستان والسقاية فى سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، نزل الملك المنصور قلاوون إلى ميدان بين القصرين ودخل البيمارستان وجلس به وأوقف عليه، [٦٠] ثم خرج ودخل المدرسة ووقف فى الشباك الذى على الحوض وأطال النظر على قبته وقبة أستاذه الصالح، وخاطب مُشِد العمارة قائلا:

" يا سنجر ". فقال سنجر: " نعم ". قال قلاوون: " ألم أقل لك إذا بنيت هذه القُبة تَعملها قُبالة قُبة أستاذى؟ ". قال الشجاعى: " أيد الله مولانا السلطان، لما أمرتنى

[٥٧] المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص ٧١٦-٧١٧؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥١٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٣٥٣

[٥٨] هذا النص مُنفذ على لوحة من الحجر أعلى المدخل الرئيسى للمنشآة بخط الثلث المملوكى المحفور حفراً بارزاً وتتكون من سطرين

[٥٩] النويرى: نهاية الأرب، ج٣١، ص ٧٠؛ المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ملحق رقم (٩) ص ٩٩٧-٩٩٨

[٦٠] للمزيد عن تفاصيل الوقف على البيمارستان راجع: المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ملحق رقم (٩) ص ٩٩٨-١٠٠٠؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥١٦

بذلك كان خوشداشك قُراسنقر المُعزِّى حياً، ولما مات خوشداشك احتجت عملت هذا المكان الذى أنت فيه مدرسة ". قال المنصور قلاوون: " نِعم ما فعلت ". [٦١]

يُفَسَّر هذا النص فى اطار التنافسية على محورين اثنين كالتالى: المحور الأول يفيد فى تحديد التنافس الصريح بين قلاوون واستاذه خصوصا أن قلاوون أطال النظر إلى قُبتِه وقارنها بقُبةِ أستاذه، وربما أعُجب بارتفاع قُبتِه وضخامتها من الخارج وسوف نتناول هذا الإطار بالتفصيل والتحليل. أما المحور الثانى وهو لماذا لم يَتبِع سنجر الشجاعى رغبة قلاوون فى تشييد القبة فى مواجهة أستاذه مباشرةً ؟

نَستهلُ بالمحور الثانى وفيه يتضح أن قلاوون لم يكن يرغب فى اضافة مدرسة إلى مجموعته المعمارية، [٦٢] وإن كان قد رغب فى تشييدها فمن الأحرى أن يَنُص عليها ويأمر سنجر بتشييدها، ولكن الأولوية كانت للقبة والبيمارستان. ويبدو أن سنجر حاول أن يبنى القبة فى المكان المُشار إليه من قِبَل المنصور قلاوون – أى مكان المدرسة – ولكن حال دون ذلك داراً كان يسكنها الأمير قُراسُنقر المُعزِّى. [٦٣] وهذه الدار لم تكن من إنشاء الأمير قراسنقر، بل كانت من جملة أُدُر القصر الغربى الصغير، فاستولى عليها قراسنقر وقطنها. [٦٤] وكان قراسنقر أميراً كبيراً وخشداشاً للسلطان المنصور قلاوون، وكان له سطوة ونفوذ رأى فى عصره، إذ رُبما قوته هذه ونفوذه هى التى منعت سنجر الشجاعى من أن يفاوضه على الإستبدال بدارٍ أخرى محل الدار التى نحن بصددها؛ لكى يتمكن من تلبية رغبة السلطان قلاوون، رغم ما عُرف عن سنجر الشجاعى من

[٦١] الخزندارى: تاريخ مجموع النوادر، ص ١٩٣

[٦٢] العسقلانى المصرى (شافع بن على الكاتب العسقلانى المصرى) ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م: كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٨) ص ١٦٨

[٦٣] قُراسنقُر المُعزى هو الأمير الكبير شمس الدين بن عبدالله المُعزى – أحد مماليك الملك المعز أبيك التُركمانى – المتوفى سنة ٦٨٣ من سنى الهجرة. حمله الطمع على أن يتزوج جارية من جوراى شجر الدُّر، وكانت هذه الجارية خزان دارة شجر الدر، ولما قُتلت شجر الدر ورُميت من سور القلعة انفصلت هذه الجارية بجملة من مالها وأصبحت فى حالٍ من رغد العيش، فحاول قراسنقر المعزى أن يستولى على أموالها، فأنكرت عليه فعله فلما خافت أن يُهاجمها فيأخذ مالها، دفنت جل مالها ووافتها المنية، ومات قراسنقر بعدها بقليل. ونعقد أن الكنز الذى عثر عليه فى عملية هدم دار قراسنقر المعزى لانشائها مدرسة فيما بعد هو تلك الأموال التى خبأتها جارية شجر الدر وزوجة قراسنقر. راجع: العسقلانى المصرى: كتاب الفضل المأثور، ص ١٦٩–١٧٠؛ الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م: الوافى بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتزكى مصطفى، ٢٩ جزء، الطبعة الأولى (بيروت: دار إحياء التراث العربى، ٢٠٠٠) ج٢٤، ص ١٥٨؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ١٢ جزء ، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز ومحمد محمد أمين (القاهرة: مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤– ٢٠٠٦) ج٩، ص ٤٩؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: الدليل الشافى على المنهل الصافى، جزءان، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨) ج٢، ص ٥٣٩

[٦٤] العسقلانى المصرى: كتاب الفضل المأثور، ص ١٦٩

جورٍ وعسفٍ وبطش. لكن تبدو الصفات التى وُصِف بها الشجاعى لم تكن إلا بمثابة نقطة فى بحر قراسنقر، مما دعى ودفع سنجر أن يخالف رغبة سلطان البلاد ولا يخالف قراسنقر التركمانى.

بالتالى ترك سنجر هذه الدار وشيَّد فى مقابلها إلى الشمال قُبة قد علا رواقها، وتلألأ إشراقها، وحَسُن رُخامُها، وكَثُر من القُرَّاءِ والذاكرين الله زِحامُها، وتَوفَّر رِزقُها، وتعين حقها، وتألق بالمثوُبات أُفُقها. [٦٥]

ولما فرغ الشجاعى من القبة، تُوفى قراسنقر المعزى سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وسُنحت الفرصة للشجاعى فأخذ هذه الدار، وشرع فى هدمها لبنائها مدرسة. وأثناء عملية الهدم ظَفَر أحد الفَعلة بِحُقْ أُشنان [٦٦] مُرَصَّص، فخبأه فى عِبه وأخفاه عن زملائه الفَعلة، وواصل أعمال الهدم والحفر، فطلع قُمقم كبير مملوء من الذهب الإبريزى، حينئذ لم يتمكن من إخفاءه كما أخفى حُقْ الأُشنان من قبل؛ لكبر حجم القمقم، ونتيجة لذلك أُطْلِعَ الأمير سنجر الشجاعى على الأمر، فأمر بإحضار حُقْ الأُشنان والقمقم وفُك ختمهما، وكان القمقم مملوء بالذهب فى حين أن حُقْ الأشنان كان مملوء بالجواهر. وفى حينه استدعى الشجاعى من يُقيِّم هذا الكنز المُخبئ، فَقُوِّم وقد قِيل أن قيمة هذا الكنز يساوى مقدار ما غَرِم السلطان على هذه العمارة من البيمارستان والقبة والمدرسة مرتين، وهذه دلاله على ضخامة هذا الكنز وتصريح بجملة ما أنفق على المجموعة المعمارية جُلها. [٦٧]

وننتقل إلى المحور الأول وهو عندما وقف قلاوون فى شباك المدرسة وأطال النظر على قبته وقبة أستاذه وسأل سنجر عن عدم تنفيذ رغبته فى مواجهة أستاذه، وإجابة سنجر عليه كما أشرنا من قبل فى المحور الثانى. فمن المُلاحظ أن سنجر قد فهم ما يدور بخاطر قلاوون ورغبته فى منافسة أستاذه وهمته التى أراد أن يُبرزها ويفوقه من خلال عمارة قبته، ولعل الارتفاع بالمبنى كان أحد أهم مؤشرات التنافسية التى عمد قلاوون على إظهارها.

٣-٣-١- مؤشر الارتفاع كأحد مظاهر التنافسية:

يُعد الارتفاع بالمبنى أحد مظاهر التنافسية التى أثرت بالازدهار على العمارة، وقد عنى سنجر الشجاعى بمؤشر الارتفاع؛ ليظهر قبة قلاوون أبهى وأعلى ارتفاعا من قبة أستاذه المواجهة فجدير بالذكر أن بلغ ارتفاع واجهة قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب نحو ١١.٣٥ متر، وقد تم احتساب هذا الارتفاع من مستوى أرضية الشارع الحالية [٦٨] حتى نهاية الشرفات الحجرية المُسننة التى تُتوج الواجهة. [٦٩] (لوحة رقم: ٤) ورُبما انشغل سنجر الشجاعى بارتفاع واجهة قبة الصالح وحاول

---

[٦٥] العسقلانى المصرى: كتاب الفضل المأثور، ص ١٦٩

[٦٦] أشنان: مفردها شَنٌّ أو شَنَّة، وتعنى آنية صُنعت من الجلد. للاستزادة راجع: ابن منظور الأفريقى المصرى: لسان العرب،ج٨،ص ١٤٨

[٦٧] العسقلانى المصرى: كتاب الفضل المأثور، ص ١٧٠

[٦٨] لا تُعد أرضية الشارع الحالية هى الأرضية الأصلية للمنشآة حين تخطيطها، بل ارتفعت بمقدار ١.٥ متر ولعل أرضية الشارع الأصلية تتضح فى مقدمة واجهة قبة المنصور قلاوون من الأسفل على يمين الداخل إلى المجموعة من مدخلها الرئيسى.

[69] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 101;

سعاد ماهر محمد: مساجد مصر، ج٢، ص ٢٣٦

إظهار واجهة قبة قلاوون أعلى منها بحيث يتفوق قلاوون على أستاذه فى هذا المؤشر، وقد وُفّق فى ذلك واستطاع أن يرتفع بواجهة قلاوون نحو ٢٠.٢٥ متر من مستوى أرضية الشارع الحالية حتى نهاية الشرفات الحجرية المُسننة التى تُختتم بها واجهة القبة، [٧٠] بالتالى تحقق لقلاوون قدر من الازدهار وجاءت واجهة قبته أعلى من واجهة قبة أستاذه بفارق ٩.١٠ متر، ولعل استخدام العقود المتجاوزة [٧١] فى واجهة قبة قلاوون قد سمحت بالارتفاع بالمبنى إلى أقصى حد ممكن كما كان للحوائط الحاملة [٧٢] أيضا دور كبير فى الارتفاع بالواجهة لهذا الحد. (لوحة رقم: ٥)

أما عن ارتفاع القبة ذاتها فلُوحظ أن كان مثار منافسة أيضا حيث عُدت قبة الصالح نجم الدين أيوب من أعلى القباب ارتفاعا فى وقتها، فبلغ ارتفاع هذه القبة من مستوى أرضيتها من الداخل إلى منطقة الانتقال نحو ١٣.٧٠ متر، وقد وُضِع أعلى منطقة الانتقال قبة بلغ ارتفاعها نحو ٧.٣٠ متر، بالتالى بلغ الارتفاع الكلى لقبة الصالح من مستوى أرضيتها إلى قمتها نحو ٢١ متر. [٧٣] (شكل رقم: ٤) وربما لفت انتباه قلاوون الارتفاع الشاهق لقبة أستاذه المواجهة فنافسه فى هذا المؤشر أيضا راغبا أن تكون قبته أكثر ازدهارا من قبة أستاذه، ولا غرو أن تَفهَّم منهدس البناء ذلك جيدا إذ حاول جاهدا الارتفاع بقبة قلاوون بحيث يفوق قبة الصالح المواجهة لها، فجاء ارتفاع قبة قلاوون من الداخل من مستوى أرضيتها إلى مستوى سطح الضريح نحو ١٥ متر، ثم صُممت لها رقبة مُثمنة تكون بمثابة منطقة انتقال بين سطح الضريح والجزء الكروى للقبة بلغ ارتفاعها نحو ٧ متر، وقد صُممت القبة ذاتها أعلى الرقبة المُثمنة مباشرة حيث بلغ ارتفاعها نحو ٩ متر، بالتالى بلغ الارتفاع الكلى لقبة قلاوون من مستوى أرضيتها إلى قمتها نحو ٣١ متر. [٧٤] (شكل رقم: ٥) وقد استخدم مهندس البناء عناصر إنشائية بداخل هذه القبة تساعده على الارتفاع لهذا الحد: كالأعمدة الجيرانيتية وعددها أربعه أعمدة حيث بلغ ارتفاع كل منها نحو ٧ متر، وكذلك استخدم دُعامات أربع مُساوية لارتفاع الأعمدة، كما صمم أعلى الأعمدة والدعامات ثمانية عقود مرتفعة تحمل رقبة القبة المثمنة. (لوحة رقم: ٦) وبمقارنة الارتفاع الكلى لقبة الصالح البالغ نحو ٢١ متر بالارتفاع الكلى

---

[70] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 190; Doris Behrens Abouseif: *Cairo of the Mamluks*, p. 135

[٧١] العقود المتجاوزة هى المرادف للعقود التى على شكل حدوة الفرس، وتُعد العقود المتجاوزة من عناصر الاقتصاد فى المبنى؛ لأنها لا تحتاج إلى نفقات كثيرة بل تُوفر من مواد البناء ولوازمه ولا تحتاج إلى أحمال عليها كثيرة إذا ما قُورنت بالعقود النصف دائرية والتى من شأنها تحتاج إلى ضعف أحمال العقود المتجاوزة. للاستزادة راجع: راجع: أحمد فكرى مسجد القيروان (القاهرة: دار العالم العربى، ٢٠٠٩) ص ٧٣-٧٦

[٧٢] كانت الحوائط الحاملة هى الأسلوب المُتبع فى إنشاء العمائر المملوكية بصفة عامة، وقد أثر ارتفاع المنشآت المملوكية على سمك هذه الحوائط. للاستزادة راجع: محمد عبدالستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، الطبعة الأولى (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٥) ص ٤٤٤-٤٤٥

[73] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 101;

سعاد ماهر محمد: مساجد مصر، ج٢، ص ٢٣٧

[74] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 193; Doris Behrens Abouseif: *Cairo of the Mamluks*, p. 82

لقبة قلاوون البالغ نحو ٣١ متر نلحظ أنَّ قلاوون قد حقق تفوقا ملحوظا على أستاذه فى هذا المؤشر، بالتالى جاءت قبة قلاوون أعلى فى الارتفاع من قبة أستاذه المواجهة بفارق ١٠ متر. (لوحة رقم: ٧)

٣-٣-٢- تفوق عمارة قلاوون على عمارة الصالح نجم الدين أيوب وبخاصة المحراب والزخارف بالقبة:

عمد قلاوون أن يظهر تفوقه فى عمارة بعض العناصر المعمارية والزخرفية بقبته مُقارنة بقبة أستاذه الملك الصالح المواجهة: ومن هذه العناصر المحراب وزخارف القبة.

٣-٣-٢-١- المحراب:

يُعد محراب قبة الصالح نجم الدين أيوب من أضخم المحاريب الإسلامية فى وقته من حيث القياسات، كما اعتُبِرت زخارفه من أدق الزخارف أنذاك حيث عُدَّ أول محراب زُخرف بالرخام الخردة. [٧٥] وهذا المحراب مُجوف الشكل يبلغ ارتفاعه نحو ٦.٠٦م وعرضه ١.٨١م، يكتنفه عمودان من الرخام الأخضر الداكن: تيجانهما على شكل ناقوسى مُزخرف برسوم نباتية غاية فى الدقة، وتنقسم زخارف المحراب إلى ثلاثة أجزاء: الجزء السفلى عبارة عن ألواح رخامية رأسية متعددة الألوان ما بين أبيض وأسود وأرجوانى وأخضر، ويعلو الجزء السفلى هذا شريط من الرخام الأبيض به زخارف نباتية، ثم يليه الجزء الأوسط وهو عبارة عن ألواح رخامية رأسية باللون الأبيض والأخضر والأسود، ويفصل الجزء الأوسط عن طاقية المحراب إطار زخرفى خشبيى عبارة زخارف نباتية مُتداخلة يعلوه شريط كتابى بخط الثلث يستمر بطول أضلاع القبة الأربعة. وطاقية المحراب جُرِّدت تماماً من الزخرف حاليا وربُما كانت مُزخرفة بزخارف آية فى الجمال والدقة مُقارنة بزخارف أجزاء المحراب الباقية. (لوحة رقم:٨)

وربما انشغل قلاوون بقياسات وزخرفة محراب قبة أستاذه الملك الصالح، فنافسه فى هذا العنصر المعمارى وحاول تحقيق التفوق عليه، وبالفعل تم له ذلك فجاء محراب قبة قلاوون أكبر فى القياسات وأثرى فى الزخرف إذا ما قُورن مع محراب قبة أستاذه، ليس هذا فحسب بل اعتُبر أكبر وأضخم محراب فى عمائر مصر الإسلامية قاطبةً، [٧٦] فضلاً عن كونه أحد أهم وأضخم المحاريب الآثرية فى العالم الإسلامى أجمع. [٧٧] إذ يبلغ ارتفاعة ٧ م، وعرضه ٤.٥ م [٧٨] ويكتنف كُلاً من جانبيه

---

[75] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 102;

سعاد ماهر محمد: مساجد مصر، ج٢، ص ٢٣٧؛ حسنى محمد نويصر: العمارة الإسلامية فى مصر عصر الأيوبيين والمماليك (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٦) ص ٨٧

[٧٦] حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ١١٩؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر، ج٣، ص ٧٢

[77] Fin B. Flood, Umayyad Survivals and Mamluk Revivals: Qalawunid Architecture and the Great Mosque of Damascus, *Muqarnas*, Vol. 14 (1997), PP. 57–79 (p. 64)

[78] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 194

ثلاثة عُمد رخامية: تيجانهم على شكل تاج ناقوسى.[٧٩] وبتجويف المحراب أربعة أشرطة من الزخارف المحارية المُذهبة والمحمولة على عُمد من القيشانى التركوازى، وباقى المحراب مُرصَّع بالرخام والصدف بديع الصنع. (لوحة رقم: ٩)

٣-٣-٢-٢- زخارف القبة:

وقد تأنّق السلطان قلاوون فى زخرفة محرابه حيث استخدم الزخارف المحارية المحمولة على عُمد، ولعل أول استخدام لهذا النوع من الزخارف كان فى محراب المسجد الأموى بدمشق. [٨٠] وربما أُعجب قلاوون بزخارف المحراب الكبير [٨١] بالمسجد الأموى ونافسه فى إطار التقليد فالمحراب الكبير بالمسجد الأموى جدير حقا بالمنافسة والمحاكاة؛ لدقة وحُسن صنعته وأناقة زخارفة، ولله در ابن جُبير الذى فُتن به حينما شاهده فنقل خبره ووصفه فى روايته قائلا:

" **هو من أعجب المحاريب الإسلامية حُسناً وغَرابة صنعة، إذ يَتقد ذهباً كلُّه، وقد قامت فى وسطه محاريب صغار متصلة بجدارهِ وتحفها سُوَيْريات مفتولات فَتل الأسورة كأنها مخروطة لم يُرَ شىء أجمل منها، وبعضها حُمر كأنها مرجان** ". [٨٢]

وربما قلَّد قلاوون هذا النوع من الزخارف فى محرابه حيث جاءت الزخارف المحارية فى محراب قلاوون نسخة من الزخارف المحارية للمحراب الكبير بالمسجد الأموى بدمشق. [٨٣] (لوحة رقم: ١٠)

وجدير بالذكر أن قلاوون لم يضاه زخارف المحراب الكبير بالمسجد الأموى فحسب بل حقق تفوقاُ وازدهارا بأن زاد عدد أشرطة الزخارف المحارية المحمولة على عُمد والتى كانت ثلاثة أشرطة فى المسجد الأموى إلى أربعة أشرطة فى محرابه. وربما أُعجب قلاوون أيضا بالفسيفساء الزجاجية التى ازدانت بها طاقية المحراب الكبير بالمسجد الأموى، فضاهاه وأمر بتنفيذه

---

[٧٩] حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ١١٩؛ محمد حمزة الحداد: السلطان المنصور قلاوون (تاريخ – أحوال مصر فى عهده – مُنشآته المعمارية) الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٨) ص ١٤٥

[80] G. T. Rivoira: *Moslem architecture: Its Origins and Development* (London: Oxford University Press, 1918) p. 95; Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 202

[٨١] حَفِل المسجد الأموى بأربعة محاريب فى جدار القبلة: المحراب الأول فى النصف الشرقى لجدار القبلة وسُمى بمحراب الصحابة والمحراب الثانى – وهو المقصود – والذى يعرف بالمحراب الكبير فى وسط جدار القبلة وفى نهاية المجاز القاطع، والمحراب الثالث يقع فى النصف الغربى لجدار القبلة بغرض السيمترية مع المحراب الأول، وأخيراً المحراب الرابع ويطلق عليه محراب الحنفية، وهو مُستحدث فى عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م. للاستزادة راجع:

Creswell, K. A. C: *The Early Muslim Architecture*, 2 Vols (London: Oxford University Press, 1909) I, p. 114-115

[٨٢] ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ٢٦٨؛ على الطنطاوى: الجامع الأموى فى دمشق، الطبعة الأولى (جِدّة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠) ص ٥٥-٥٦

[83] Fin B. Flood, Umayyad Survivals and Mamluk Revivals (p. 65)

فى طاقية محراب قُبته، ويُعد قلاوون بذلك أول من أدخل الفسيفساء الزجاجية كعنصر زخرفى فى المحاريب بمصر. [٨٤] وطاقية محراب قبة قلاوون الآن تم استبدالها بالصدف فى ترميمات أُحدثت له خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين. [٨٥] ولعل هذه الفسيفساء بديعة الصُنع تظهر جلية فى النسخة الثانية لمحراب القبة، نعنى محراب مدرسة قلاوون الذى جاء بنفس الزخارف ولكن بحجم أصغر مع تقلص عدد العمد الرخام إلى عمود بكل جانب من جوانب المحراب. (لوحة رقم: ١١)

وقد لاقت الفسيفساء الزجاجية قبولا ورواجا فى الفترات التاريخية المتعاقبة حيث استخدمت الفسيفساء الزجاجية على نطاق واسع إبان عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون واعتنى أمراء الناصر بهذا العنصر الزخرفى الطريف واستخدموه فى زخرفة منشآتهم. [٨٦]

ومن ضمن عناصر الزخرفة التى ازدهرت بها قبة قلاوون إفريز العنب الذى يزخرف جنبات جدران القبة، والذى جاء مضاهياً لزخارف المسجد الأموى أيضا. وهذا الإفريز عبارة عن شريط رخامى محفور عليه زخارف تشبه أوراق وعناقيد العنب، ويمتد هذا الشريط حول الجدران الأربعة للقبة من الداخل فوق مستوى وزرات الرخام. [٨٧] وينسب بعض العلماء هذا الإفريز وما عليه من زخارف إلى تأثيرات بيزنطية، ويتبنون فكرة أنه مُستمد ومنقول من كنيسة آيا صوفيا باستنبول. [٨٨] وبمقارنة بسيطة بين هذا الإفريز وإفريز آيا صوفيا وُجدَ أن إفريز آيا صوفيا عبارة عن شكل قالب من الجص مُحدب مُكون من فروع العنب المتشابكة والمحفورة حفراً عميقاً وكثيفاً. بينما إفريز زخارف العنب فى المسجد الأموى عبارة عن إفريز من الرخام وليس من الجص، ومكون من فروع العنب التى تتداخل أوراقها مع عناقيد العنب المتدلى. وعلى نسق إفريز المسجد

---

[٨٤] من اللافت للإنتباه أن ضريح شجر الدر وُجد بطاقية محرابه بقايا زخارف الفسيفساء الزجاجية، وكان يوجد أيضا فسيفساء زجاجية زخرفت طاقية محراب الصالح نجم الدين أيوب، ولكن هذا العنصر لم يدخل مصر إلا على عهد المنصور قلاوون، وربما عرفت زخارف الفسفيساء الزجاجية طريقا إلى العمائر المملوكية فى عهد الظاهر بيبرس البندقدارى ولكن فى طاقية محراب ضريحه بدمشق وليس بعمائره الدينية بمصر. ويتوافق معنا Meinecke فى أنَّ قلاوون هو أول من أدخل هذا العنصر الزخرفى فى العمائر الاسلامية بمصر وبالنسبة لبقايا الزخارف الزجاجية بضريح شجر الدر وضريح الصالح نجم الدين أيوب رُبما تم إضافتها فى العصر المملوكى وليس منذ إنشائهم. للاستزادة راجع:

Von Michael Meinecke, Das Mausoleum des Qalā'ūn in Kairo: Untersuchungen zur Genese der mamlukischen Architekturdekoration, *Mitteilungen des Deutschen Archäologischen Instituts, Abteilung Kairo,* Vol. 27 (1971), PP. 46-80 (p. 55-58); Fin B. Flood, Umayyad Survivals and Mamluk Revivals (p. 68)

[85] Richard Yeomans: *The Art and Architecture of Islamic Cairo* (United Kingdom: Garnet Publishing Limited, 2006) p. 135

[٨٦] استخدمت الفسيفساء الزجاجية فى عمائر الأمراء المعاصرون لفترة الناصر محمد بن قلاوون ، كما فى محراب المدرسة الأقبغاوية ، ومحراب المدرسة الطيبراسية، وكذلك محراب جامع الست حدق. للاستزادة راجع:

Caroline Williams, The Mosque of Sitt Hadaq, *Muqarnas*, Vol. 11 (1994), PP. 55-64 (p. 61-62)

[87] Fin B. Flood, Umayyad Survivals and Mamluk Revivals (p. 62-64)

[88] Von Michael Meinecke, Das Mausoleum des Qalā'ūn in Kairo: Untersuchungen zur Genese der mamlukischen Architekturdekoration (p. 76)

الأموى جاء إفريز قبة قلاوون محاكيا له سواء فى نوع مادة الإفريز وهى الرخام أو الطريقة المنفذ بها الزخارف وهى الحفر فدقة تنفيذ هذا النوع من الزخرف بقبة قلاوون تدل بشكل لا يدع مجال للشك أن قلاوون قد استجلب الصناع المهرة الحاذقون من دمشق وفلسطين لتفيذ هذه الزخارف بدقة وحرفيّة. [٨٩]

ولسنا هنا لتحقيق أصل هذا الإفريز سواء كان بيزنطى الأصل أو إسلامى الابتكار ولكن ما يهمنا هنا هو أن الفنان الذى حاكى هذا النوع من الزخرفة قد وُفِّق أتم التوفيق فى عملية الحفر على الإفريز، حيث تمكن ببراعة أن يظهر التداخل والتشابك بين عنقود العنب والأوراق فضلا عن تنفيذ هذه الزخارف على مادة أكثر تعقيداً مما كانت عليه وهى الرخام شديد الصلابة بدلاً من الجص.

نستنتج من ذلك أن قلاوون لم يكن مُقلدا فى إطار التنافسية لعمائر السابقين له من الملوك والسلاطين فحسب، بل مَيَّز عمائره وأبدع فيها؛ مما أثر علي هذه العمائر بالازدهار، ولله در الشاعر الذى مدحه فى ذلك بشعره قائلا:

تمشى الملوك على آثار غيرهم وأنت تخلق مـا تأتِ وتَبتدع. [٩٠]

٢-٤- مظهر منافسة قلاوون لأستاذه الصالح فى باب المدخل:

صُمم المدخل الرئيسى لمجموعة قلاوون فى مُقابلة قبة أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب وعلى نفس المحور، بحيث تقع عين الخارج من باب قبة الصالح أولا على باب مجموعة قلاوون الشاهق. فقد وُصِف باب قلاوون فى وثيقة وقفه أنه عبارة عن باب كبير مبنى بالرخام الفصوص وهو مقابل لباب التربة الصالحية النجمية رحم الله واقفها. [٩١] وباب القبة الصالحية عبارة عن فتحة يبلغ طولها ٢.٧٦م، وعرضها ١.٥٢م، ويعلوها عتب ذو صنجات معشقة ويعلو ذلك لوحة بها أربعة أسطر بخط الثلث نصها:" **بسم الله الرحمن الرحيم، والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبلنا وإن الله لمع المحسنين.** [٩٢] **هذه التربة المباركة بها ضريح مولانا السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر نجم الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين، سيد ملوك المجاهدين وارث الملك عن أبائه الأكرمين أبى الفتح أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبى المعالى محمد بن أبى بكر بن أيوب، توفى إلى رحمة الله تعالى وهو بمنزلة المنصورة تجاه الفرنج المخذولين مصافحا للصفاح بنحره مواجها للكفاح بوجهه وصدره آملا ثواب الله بمرابطته واجتهاده، عاملا بقوله تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده،** [٩٣] **أوفده الله الجنة العالية وأورده أنهارها الجارية وذلك فى ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين**

---

[89] Fin B. Flood, Umayyad Survivals and Mamluk Revivals (p. 63, 71–74)

[٩٠] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٣٥٣؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر، ج٣، ص ٦٨

[٩١] ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب) ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ٣ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦) ج١، ص ٣٥٦

[٩٢] سورة العنكبوت: آية رقم ٦٩

[٩٣] سورة الحج: آية رقم ٧٨

وستمائة ".[٩٤] (لوحة رقم: ١٢) وعلى جانبى المدخل منطقتان غائرتان على شكل بحور كان الغرض منهما أن تحفر عليهما أشرطة كتابية ولكنها لم تتم، وهناك قاعدة جيرانيتية عليها كتابات بالخط الهيروغليفى، وأعلى المدخل يوجد اطار مزخرف يحيط بالباب من جميع الجهات.[٩٥] (لوحة رقم: ١٣)

هذا وقد جاء مدخل وباب قلاوون أعلى فى الارتفاع وأتقن فى التنفيذ إذا ما قُورن بمدخل قبة أستاذه الملك الصالح المواجه له، فيبلغ ارتفاع مدخل قلاوون نحو ٢٠.٢٥ متر حيث يتساوى مع ارتفاع واجهة مجموعة قلاوون، وربما كان مدخل قبة أستاذه مُساوى لارتفاع واجهة قبته البالغة نحو ١١.٣٥ متر ولكن تهدم الجزء العلوى من هذا المدخل حاليا[٩٦] ويُعد ذلك أحد مظاهر ازدهار العمارة الذى تحقق بسبب المنافسة. فقد صُمِّم مدخل قلاوون بالطرف الجنوبى من واجهة القبة ويتكون من حنيتين مُتتاليتين: الحنية الأولى وهى الأكبر عبارة عن كتفين بارزين أسفل كل كتف منهما عمود رخامى ذو تاج كورنثى ويحصر هذان الكتفان من أعلى عقد على شكل حدوة الفرس، أما الحنية الثانية تلى الحنية الأولى وهى أصغر من سابقتها حيث تتألف من كتفين بارزين أسفل كل كتف منهما عمود رخامى ذو تاج كورنثى، ويتوسط هذه الحنية فتحة باب الدخول حيث تبلغ اتساعها نحو ٢.٣٩م وراتفاعها نحو ٤.٣٨م، ويغلق على فتحة الباب مصراعين من الخشب المُصفح بالنحاس وقوام زخارفه الأطباق النجمية وبعض الزخارف النباتية والهندسية، ويعلو فتحة الباب عتب رخامى مستقيم نُقش عليه نص إنشائى بخط الثلث المملوكى سبق الإشارة إليه، يلى ذلك عقد نفيس، يعلوه عقد عاتق يتألف من صنجات رخامية مُعشَّقة، ثم يليه قنديلية عبارة عن فتحتين مستطيلتين تنتهى كل فتحة منهما بعقد على شكل حدوة فرس ويأطُر هذه القنديلية ثلاثة أعمدة رخامية مَحزوزة ويُغشيها مُصبعات حديدية، ويعلو القنديلية قمرية مستديرة مُغشاة بمُصبعات حديدية. وقد اختُتمت الحنية الثانية من أعلى بعقد مُدبب غُشِّىَ باطنه ووجهه بصنجات رخامية معشقة، أما توشيحتى العقد فتملأهما أشرطة رخامية بيضاء وسوداء تتقاطع لتكون مثلثات وتحصر مربعات صغيرة وتنتهى هذه الأشرطة بميمة أعلى العقد. (لوحة رقم: ١٤)

وتُعد القنديلية التى يزدان بها مدخل مجموعة قلاوون منقولة من أنقاض قلعة الحصن بسوريا وربما جلبها قلاوون عندما استولى على قلعة الحصن فى عهد السلطان بيبرس البندقدارى ٦٧٠هـ/١٢٧١م واحتفظ بها قُرابة عشرة سنوات إلا أن

---

[94] Max Van Berchem: *Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum*, p. 105

[95] Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 101;

سعاد ماهر محمد: مساجد مصر، ج٢، ص ٢٣٦

[٩٦] من المحتمل أن تهدم الجزء العلوى من مدخل قبة الصالح عقب سقوط مئذنة مدرسة الظاهر بيبرس المجاورة فى يونيو سنة ١٨٨٢م. للاستزادة راجع:

Comité de Conservation des Monuments de L'Art Arabe, Exercice 1882-83 (Le Caire: Imprimerie de L'Institut Français D'Archéologie Orientale, 1892), p. 35; Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 101

تم الشروع فى بناء مجموعته المعمارية فى مواجهة أستاذه الصالح وخشداشه البندقدارى واستعملها في مدخلها. [٩٧] وهناك أمثلة ونماذج مُشابهة لهذه النافذة ببقايا جدار غرفة الطعام المُطلة على الفناء الداخلى بقلعة الحصن ولم تكن نوافذ قلعة الحصن الوحيدة المشابهة لنافذة قلاوون ولكن عدد كريسويل وأحصى خمسة نماذج أخرى بسوريا. [٩٨]

وربما أراد قلاوون بنقله لهذه النافذة واستخدامها فى مدخل مجموعته المعمارية أن تكون رسالة ووسيلة دعائية رغِب أن يُضاهى بها سابقه وخشداشة السلطان الظاهر بيبرس الذى نقل أحجاراً وعمداً ورخاماً من قلعة يافا واستعملها فى عمارة مسجده الجامع بالحسينية، [٩٩] وتَعْمُد قلاوون هنا فى أن تكون النافذه فى مواجهة مدخل قبة أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب تُفَسِر بعداً تنافسيا وسياسياً معه: وهو إذا كان الصالح نجم الدين أيوب قد نجح فى إيقاف الهجوم الصليبى فى معركة المنصورة، فإنَّ قلاوون هدم معاقل الصليبيين بالشام وسوريا، وخلَّد هذا النصر للمارة بهذا المكان وللأجيال القادمة بجلب هذه القنديلية.

كما عَمد قلاوون أن يُصمَّم باب مجموعته مواجهاً لباب قبة أستاذه الصالح نجم الدين أيوب محاولا فى ذلك إنتاج منطقة حركية يزدحم فيها الخارج من قبة أستاذه الملك الصالح مع الداخل والخارج من مجموعته، فضلا عن تجمع وتكدس المارة فى هذه المنطقة سواء القادمين من ناحية باب زويلة والمتجهين إلى باب الفتوح والعكس. [١٠٠] (لوحة رقم: ١٥)

النتـــائـــج:

- أوضحت الدراسة أن الظاهر بيبرس قد أنشأ مدرسته الكائنة بشارع المعز لدين الله الفاطمى بدافع المنافسة مع أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب فى إطار التقليد من حيث اختيار الموقع وسرعة انجاز العمل وتزويد المدرسة بخلاوى للطلاب وقاطنى المدرسة من الشيوخ وغيرهم، كما اتبع بيبرس أسلوب تغطية إيوانات مدرسته نفس أسلوب تغطية إيوانات مدرسة أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب. وقد عمد الظاهر بيبرس أن يُحقق تفوقا ملحوظا على أستاذه الملك الصالح من حيث

---

[97] Karen Rose Mathews, Mamluks and Crusaders: Architectural Appropriation and Cultural Encounter in Mamluk Monuments, *International Medieval Research*, Vol. 15 (2012), PP. 177-200 (pp. 187-188)

[٩٨] للمزيد عن هذه النوافذ راجع: Creswell, K. A. C: *The Muslim Architecture of Egypt*, II, p. 200
وقد ساد هذا العنصر من النوافذ وتم محاكاته فيما بعد فى كل من: ضريح زوجة قلاوون أم الصالح ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، وكرر فى ضريح الأشرف خليل ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م، وكرر فى ميضأة جامع أحمد بن طولون ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، وكرر فى ضريح الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣-٧٠٤هـ/ ١٣٠٣-١٣٠٤م، وكرر أيضا فى ضريح سنقر السعدى ٧١٥-٧٢١هـ/ ١٣١٥-١٣٢١، وكرر فى مسجد ألماس الحاجب ٧٣٠-٧٣١هـ/ ١٣٢٩-١٣٣٠م.

[٩٩] المقريزى: الخطط ، ج٤، ص ١٩٢-١٩٤

[100] Howayda Al-Harithy, The Concept of Space in Mamluk Architecture, Muqarnas, Vol. 18 (2001), PP. 73-93 (p. 81)

تخطيط مدرسته على نمط الإيوانات الأربعة المتقابلة التى يتوسطها صحن، كما أظهر بيبرس تفوقه على أستاذه الملك الصالح من خلال تزويد مدرسته بسبيل يعلوه كتاب للأيتام بالتالى عُدت هذه الوحدة أحد مظاهر التفوق التى ميَّزت مدرسة بيبرس على مدارس أستاذه التى افتقدت مثلها.

– كشفت الدراسة عن كَوْن قبة السلطان المنصور قلاوون هى الأساس فى بناء مجموعته المعمارية بشارع المعز حيث شُيِّدت بدافع التنافس فى إطار التقليد مع أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب من حيث اختيار الموقع وسرعة إتمام العمل والانتهاء منه، وقد أظهرت عمارة هذه القبة تفوق قلاوون على أستاذه حيث جاءت أعلى فى الارتفاع وأغنى فى العناصر المعمارية وأثرى فى الزخارف من قبة أستاذه المواجهة.

– كان محراب قبة قلاوون أحد العناصر المعمارية المُتنَافَس عليها فى إطار التفوق والإبداع مع محراب قبة الصالح نجم الدين أيوب وقد أثبت الواقع الأثرى ذلك، فجاء محراب قبة قلاوون أكبر فى القياسات وأثرى فى الزخارف إذا ما قورن مع محراب قبة أستاذه، كما اعتُبر محراب قلاوون أكبر وأضخم محاريب عمائر مصر الإسلامية قاطبة فضلا عن كونه أحد أهم وأضخم المحاريب الآثرية فى العالم الإسلامى، وقد تأنَّق قلاوون فى زخرفة هذا المحراب مُنافسا ومُقلدا زخارف المحراب الكبير بالمسجد الأموى بدمشق.

– أثبتت الدراسة أن مدخل مجموعة قلاوون الرئيسى قد صُمم فى موضعٍ يُقابل مدخل أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب وذلك فى إطار المنافسة على إظهار علو الهِمة والعظمة، فجاء أضخم وأعلى ارتفاعا وأثرى زُخرفا من مدخل قبة الصالح المواجهة له.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

– ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤)

– ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزء ، تحقيق: نخبة من العماء، نسخة مُصورة من طبعة دار الكتب (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١)

– ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ١٢ جزء ، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز ومحمد محمد أمين (القاهرة: مركز تحقيق: التراث، ١٩٨٤–٢٠٠٦)

– ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: حوادثُ الدهور فى مَدى الأيام والشهُور، جزءان، تحقيق: محمد كمال الدين عزالدين، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٠)

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: الدليل الشافى على المنهل الصافى، جزءان، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨)

- ابن جبير (أبى الحسين محمد بن أحمد بن جبير) ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م: رحلة ابن جبير، الطبعة الثانية (لَيْدَن: مطبعة بريل، ١٩٠٧)

- ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب) ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ٣ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦)

- ابن حجر العسقلانى (العلامة الحافظ أحمد بن على بن محمد المشهور بابن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م: فتح البارى بشرح صحيح الإمام ابى عبدالله محمد بن إسماعيل البُخارى، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ١٣ جزء، الطبعة الأولى (القاهرة: المكتبة السلفية، د. ت)

- ابن عبدالظاهر (محى الدين أبو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصرى) ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م: الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الطبعة الأول (الرياض: ١٩٧٦)

- ابن شداد (عزالدين محمد بن على بن ابراهيم بن شداد) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م: تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط (بيروت: دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، ١٩٨٣)

- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى) ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م: البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركى، ٢١ جزء، الطبعة الأولى (القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ١٩٩٨)

- ابن منظور الأفريقى المصرى (الإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى) ت ٧١١هـ/ ١٣١١م: لِسانُ العرب، ١٨ جزء، طبعة جديدة ومُنقحة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤)

- الجوهرى (أبى نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهرى) ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م: الصِّحاح تَاج اللغة وصِحاح العربية، تحقيق محمد محمد تامر وآخرين (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٩)

- الخزندارى (الأمير شهاب الدين قُرطاى العِزى الخزندارى) ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م: تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، تحقيق هورست هاين و محمد الحجيرى (بيروت: ٢٠٠٥)

- العسقلانى المصرى (شافع بن على الكاتب العسقلانى المصرى) ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م: كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٨)

- العينى (بدر الدين محمود العينى) ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: عصر سلاطين المماليك، ٥ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠١٠)

- السيوطى (الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م: كوكبُ الروضة فى تاريخ النيل وجزيرة الروضة، تحقيق محمد الششتاوى ، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٢)

– الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م: الوافى بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتزكى مصطفى، ٢٩ جزء، الطبعة الأولى (بيروت: دار إحياء التراث العربى، ٢٠٠٠)

– الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى) ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م: القاموس المُحيط، تحقيق: أبوالوفا نصر الهُورينى (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، ٦ مجلدات ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان ،١٩٩٥-٢٠٠٣)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢ جزء، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٧)

– النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى) ت ٧٣٣هـ: نهاية الأرب فى فنون الأدب، ٣٣ جزء، تحقيق إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠٠٤)

الأبحاث العربية:

– حسنى محمد نويصر، دراسة لأجزاء هامة من بقايا مدرسة السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى بالقاهرة ٦٦٠/٦٦٢هـ – ١٣٦٢/١٣٦٣م، مجلة كلية الآثار، العدد ٤ (١٩٩٠) ص ص. ١-٣٩

– عبدالرحمن زكى، إمتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك (١٥١٧-٩٦٩م) أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة: مارس – ابريل ١٩٦٩م، الجزء الثانى (١٩٧١) ص ص. ٦١٧-٦٤٣

– عدنان عبدالله عبيدات، التنافس السياسى فى الدولة العباسية بين التيارين الفارسى والعربى ١٧٠-١٨٧هـ/ ٧٨٦- ٨٠٢م "ولاية العهد أنموذجا"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية مُجلد ٢٥، عدد ٢ (٢٠١٧) ص ص. ١٥٧-١٧٤

المراجع العربية:

– أحمد فكرى مسجد القيروان (القاهرة: دار العالم العربى، ٢٠٠٩)

– أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها: العصر الأيوبى، الجزء الثانى، الطبعة الثانية (القاهرة: دارالمعارف، ٢٠٠٨)

– حامد عبدالسلام زهران: عِلم النفس الاجتماعى، الطبعة الخامسة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤)

– حسنى محمد نويصر: العمارة الإسلامية فى مصر عصر الأيوبيين والمماليك (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٦)

– حسن الباشا: سيف الدين قلاوون وعمائرة: بحث ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ٥ أجزاء، الطبعة الأولى (بيروت: أوراق شرقية، ١٩٩٩)

– حسن الباشا: بيمارستان قلاوون: بحث ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ٥ أجزاء، الطبعة الأولى (بيروت: أوراق شرقية، ١٩٩٩)

– حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جزءان (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٥)

– سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٢)

– سعيد عبدالفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، سلسلة أعلام العرب (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومى، د. ت)

– على الطنطاوى: الجامع الأموى فى دمشق، الطبعة الأولى (جِدّة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠)

– محمد عبدالستار عثمان: مُسميات المنشآت الدينية المملوكية وعلاقتها بالتخطيط والوظيفة، الطبعة الأولى (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٨)

– محمد عبدالستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، الطبعة الأولى (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٥)

– محمد حمزة الحداد: السلطان المنصور قلاوون (تاريخ – أحوال مصر فى عهده – مُنشآته المعمارية) الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٨)

– محمد جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨)

– مجمع اللغة العربية: المُعجم الوسيط، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤)

– مجمع اللغة العربية: المُعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠٢)

الرسائل العلمية الأجنبية:

- Muhammad Hafez Shaaban: Piety and Power: Pious Endowments in the Bahrī Mamlūk Period (1250-1382) a master thesis (American University of Cairo: School of Humanities and Social Sciences, 2015)

- Dina Ghaly: The Shāri‘ al-Aʿẓam in Cairo: Its Topography and Architecture in the Mamluk Period, a doctorate thesis (University of Toronto: Department of Near and Middle Eastern Civilization, 2004)

الأبحاث الأجنبية:

- Creswell, K.A.C, The works of Sultan Bibars al-Bunuqdārī in Egypt, BIFAO, Vol. 26 (1926) PP. 129-193

- Caroline Williams, The Mosque of Sitt Hadaq, Muqarnas, Vol. 11 (1994), PP. 55-64

- Fin B. Flood, Umayyad Survivals and Mamluk Revivals: Qalawunid Architecture and the Great Mosque of Damascus, Muqarnas, Vol. 14 (1997), PP. 57-79

- Howayda Al-Harithy, The Concept of Space in Mamluk Architecture, Muqarnas, Vol. 18 (2001), PP. 73-93

- Karen Rose Mathews, Mamluks and Crusaders: Architectural Appropriation and Cultural Encounter in Mamluk Monuments, International Medieval Research, Vol. 15 (2012), PP. 177-200

- Von Michael Meinecke, Das Mausoleum des Qalā'ūn in Kairo: Untersuchungen zur Genese der mamlukischen Architekturdekoration, Mitteilungen des Deutschen Archäologischen Instituts, Abteilung Kairo, Vol. 27 (1971), PP. 46-80

المراجع الأجنبية:

- Caroline Williams, Islamic Monuments in Cairo; the Practical Guide, 5th edn (Cairo: American University in Cairo Press, 2002)

- Creswell, K. A. C: the Muslim Architecture of Egypt, 2 Vols (London: Oxford University Press, 1959)

- Creswell, K. A. C: The Early Muslim Architecture, 2 Vols (London: Oxford University Press, 1909)

- Comité de Conservation des Monuments de L'Art Arabe, Exercice 1882-83 (Le Caire: Imprimerie de L'Institut Français D'Archéologie Orientale, 1892)

- Doris Behrens Abouseif: Cairo of the Mamluks: A History of the Architecture and its Culture (Cairo: American University in Cairo press, 2007)

- G. T. Rivoira: Moslem architecture: Its Origins and Development (London: Oxford University Press, 1918)

- Max Van Berchem: Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Première Partie Égytpe (Paris: Libraire de la Société Asiatique de l.'École des Langues Orientales Vivantes, 1903)

- Richard Yeomans: The Art and Architecture of Islamic Cairo (United Kingdom: Garnet Publishing Limited, 2006)

- R. Phené Spiers: *Architecture East and West: A Collection of Essays Written at Various Times During the Last Sixteen Years* (London: B. T. Batsford, 1905)

الأشكال:

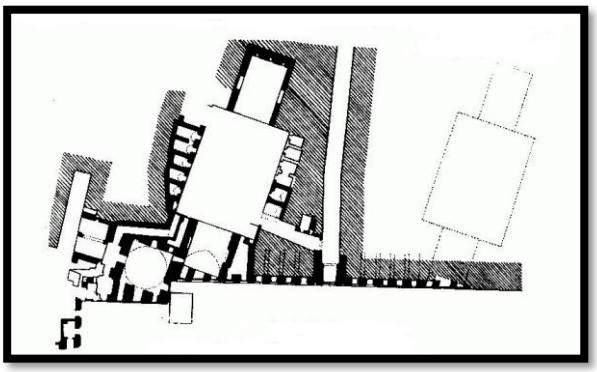

(شكل رقم: ١) مسقط أفقى لتخطيط المدارس الصالحية

نقلا عن: Creswell: *the Muslim Architecture of Egypt*, II, Fig. 46

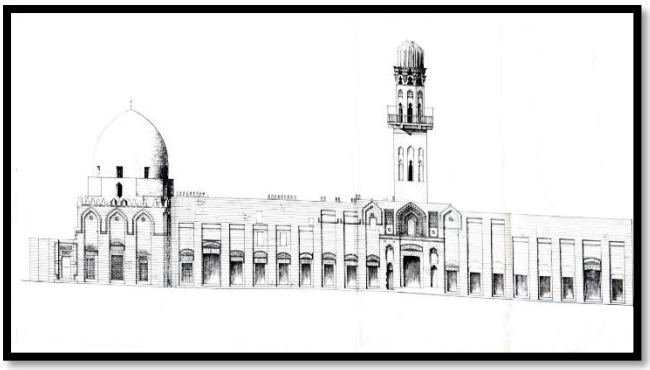

(شكل رقم: ٢) قطاع يوضح واجهة المدارس الصالحية وبوبتها والقبة

نقلا عن: Creswell: *the Muslim Architecture of Egypt*, II, Fig. 45

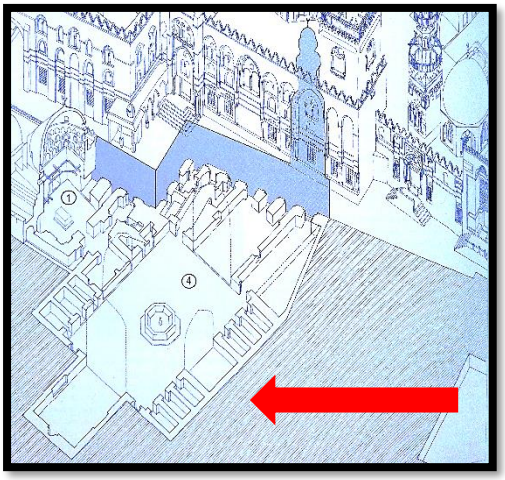

(شكل رقم: ٣) شكل منظورى لتخطيط مدرسة الظاهر بيبرس

نقلا عن: Doris B. Abouseif: *Cairo of the Mamluks*, p.120

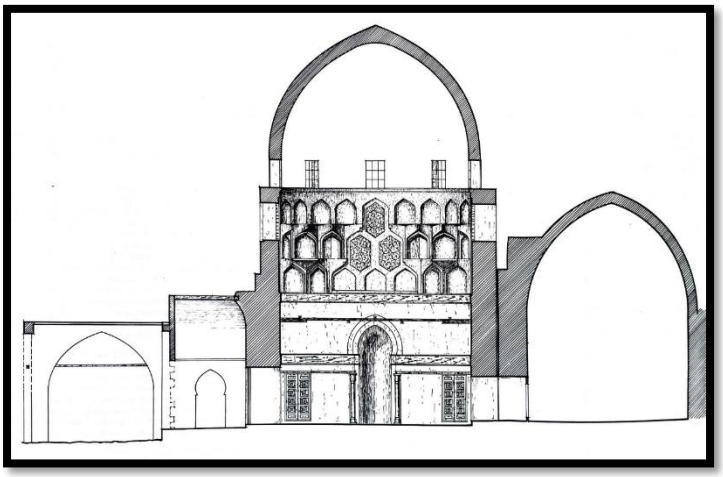

(شكل رقم: ٤) قطاع رأسى لقبة الملك الصالح نجم الدين أيوب

نقلا عن: Creswell: *the Muslim Architecture of Egypt*, II, Fig. 48

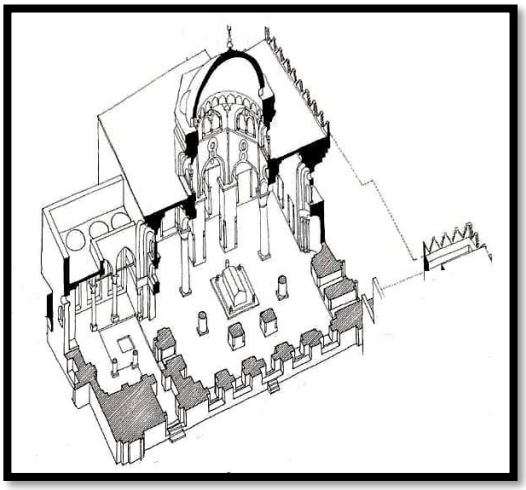

(شكل رقم: ٥) شكل منظورى لقبة قلاوون

نقلا بتصرف عن: Doris B. Abouseif: *Cairo of the Mamluks*, Fig.79

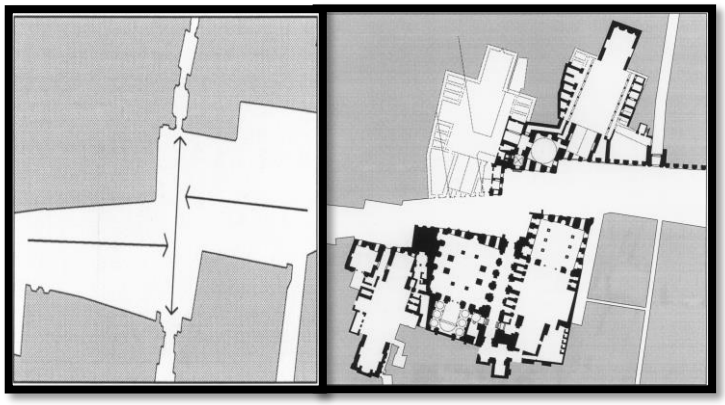

(شكل رقم: ٦) تُبين منطقة الحركة أمام مدخلى مجموعة قلاوون وقبة الصالح نجم الدين أيوب.

نقلا عن: Howayda Al-Harithy, The Concept of Space, (p.82)

اللوحات:

(لوحة رقم: ١) توضح النص الإنشائى أعلى بوابة المدارس الصالحية

تصوير الباحث

(لوحة رقم: ٢) بقايا مدرسة الظاهر بيبرس البندقدارى

تصوير الباحث

(لوحة رقم: ٣) توضح النص الإنشائى بمدخل مجموعة المنصور قلاوون

تصوير الباحث

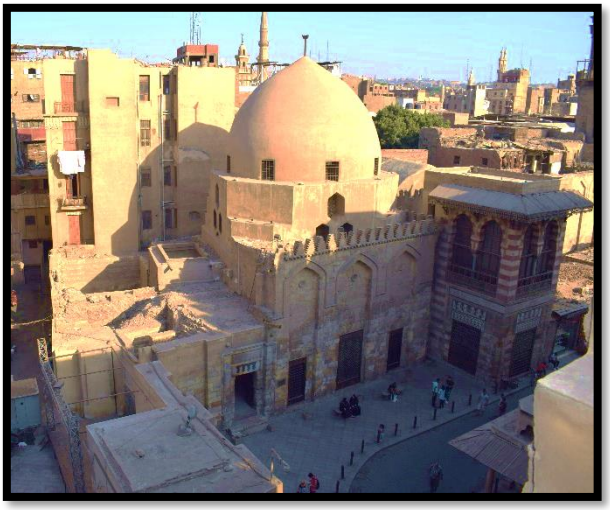

(لوحة رقم: ٤) توضح واجهة وقبة الصالح نجم الدين أيوب

تصوير الباحث

(لوحة رقم: ٥) توضح واجهة قبة المنصور قلاوون

تصوير الباحث

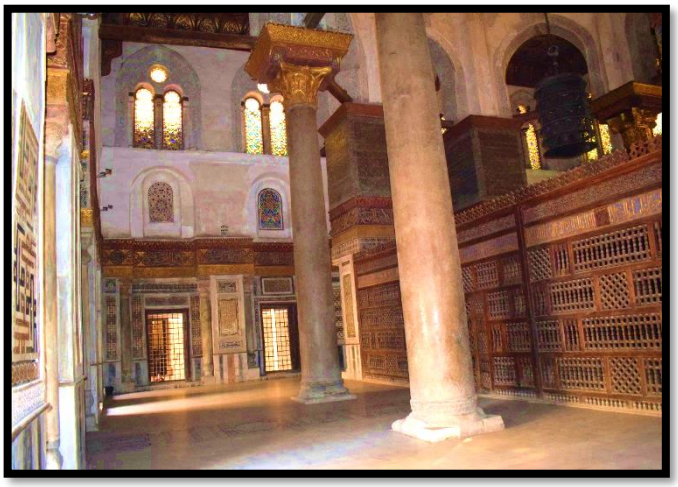

(لوحة رقم: ٦) توضح الأعمدة والدعامات الحاملة لقبة المنصور قلاوون

تصوير الباحث

(لوحة رقم: ٧) توضح ارتفاع قبة قلاوون بالمقارنة مع قبة أستاذه الملك الصالح

تصوير الباحث

(لوحة رقم: ٩) توضح محراب قبة المنصور قلاوون

تصوير الباحث

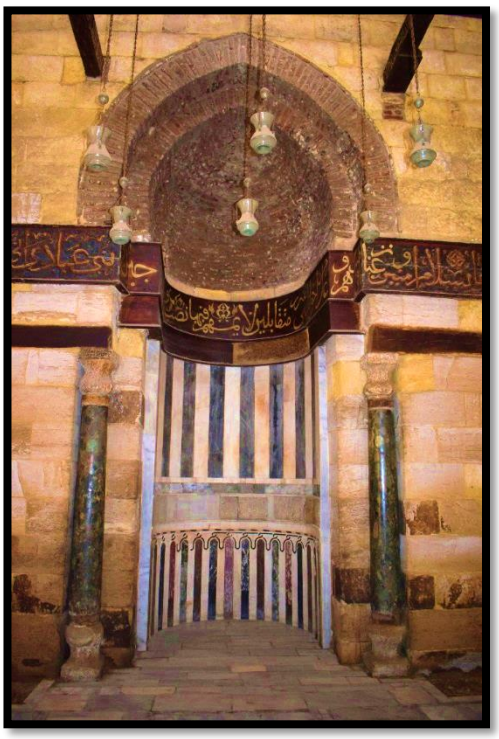

(لوحة رقم: ٨) توضح محراب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب

تصوير الباحث

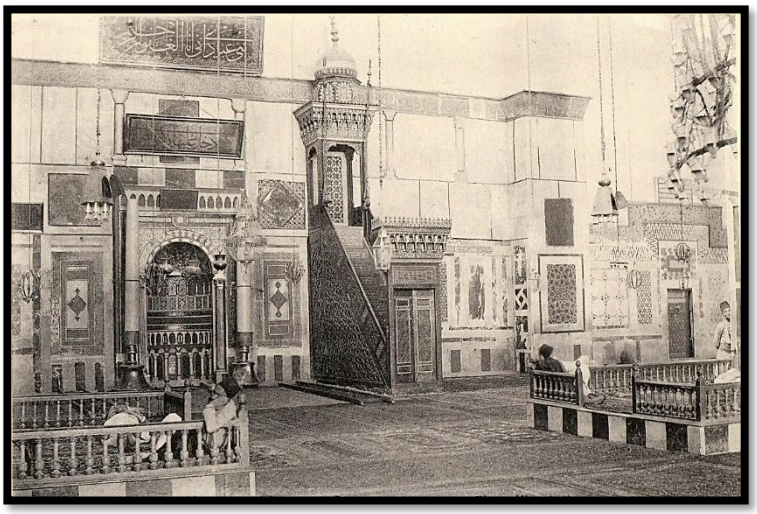

(لوحة رقم: ١٠) توضح المحراب الكبير بالمسجد الأموى بدمشق قبل حريق ١٨٩٣م

يعلوه الإفريز الرخامى المزخرف بزخارف عناقيد العنب

نقلا عن: R. Phené Spiers: Architecture East and West, p. 234

(لوحة رقم: ١١) طاقية محراب مدرسة قلاوون

ويتضح فيها الفسيفساء الزجاجية

تصوير الباحث

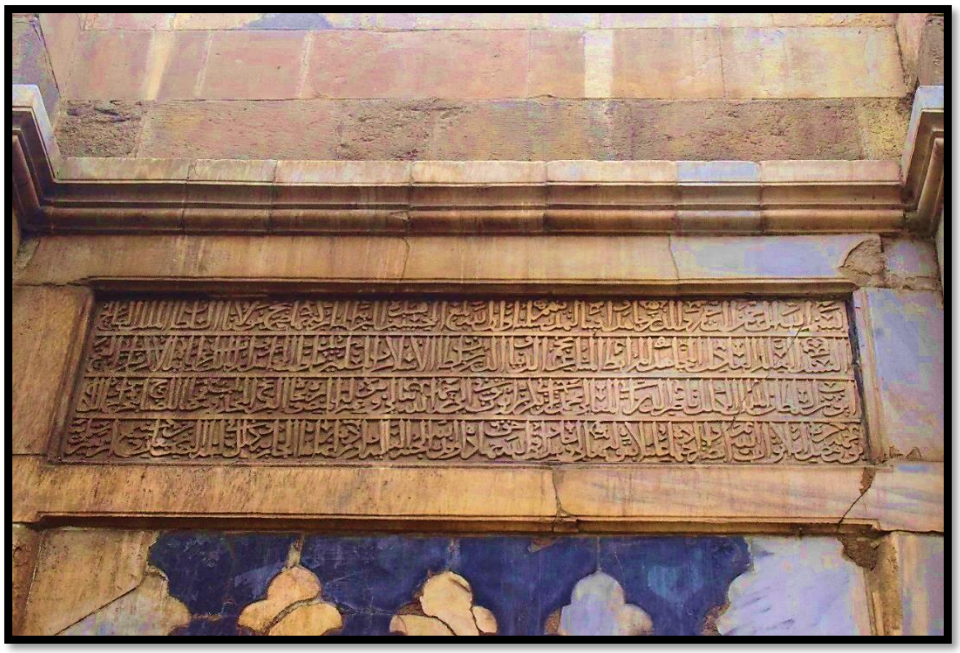

(لوحة رقم: ١٢) توضح النص الإنشائى أعلى مدخل قبة الصالح نجم الدين أيوب

تصوير الباحث

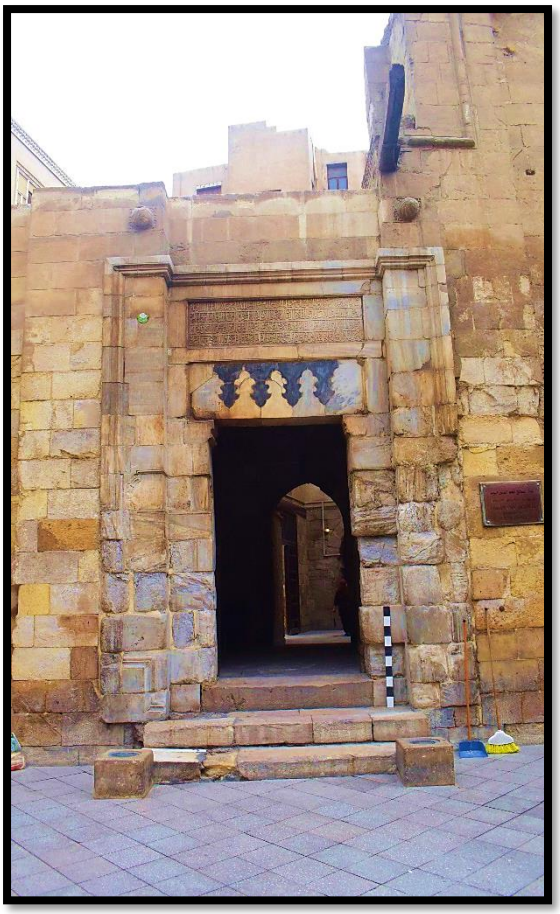

(لوحة رقم: ١٣) توضح مدخل قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب

تصوير الباحث

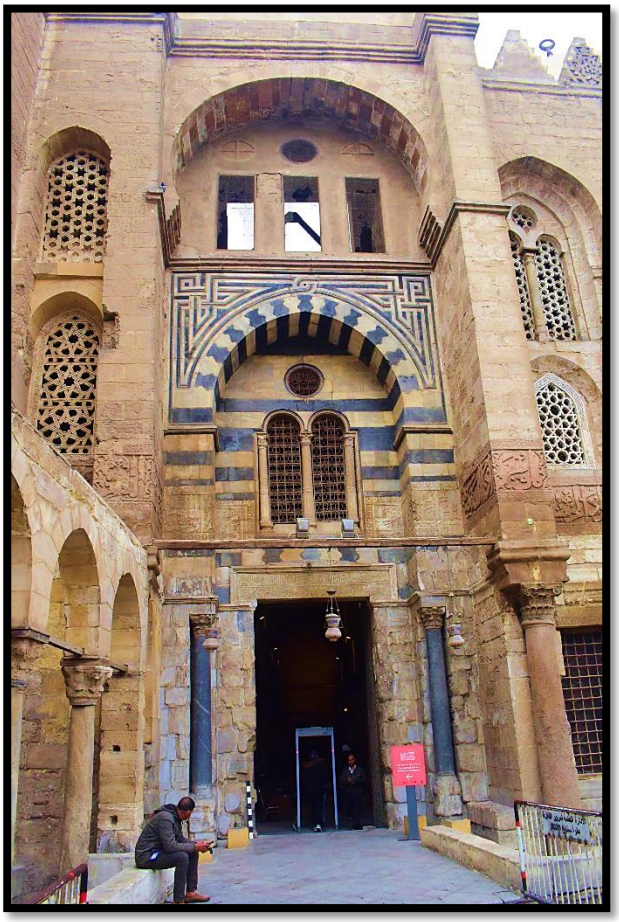

(لوحة رقم: ١٤) توضح مدخل مجموعة المنصور قلاوون

تصوير الباحث

Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality (JAAUTH)
journal homepage: http://jaauth.journals.ekb.eg/

The Competitive Between Ayyubid and Mamluk Sultans in Baḥarī Mamluk Period: An Applied Study on Madrasa(s) and Dome of al-Ṣāliḥ Najm al-Dīn Ayyub, Madrasa of al-Ẓāhir Baybars al-Bunduqdāry and Complex of al-Manṣūr Qalawwn at Street of al-Mu'iz lidīn Allāh al-Fāṭmy

Ahmad M. Salem, Mohammad A. Osman, Hebatullah M. Fathy.

Email: ahmed_salem@tourism.suez.edu.eg

ARTICLE INFO

Keywords:

Competitive; *Maydān Bayn al-Qaṣryn*; Complex of al-Manṣūr Qalawwn; al-Madāris al-Ṣāliḥyyah; Baḥrī Mamluk period.

(JAAUTH)
Vol. 22, No. 3, (2022)
pp. 1-31

Abstract

al-Ṣāliḥ Najm al-Dīn Ayyub built Madrasa(s) at square of between the two palaces (*Maydān Bayn al-Qaṣryn*) then, his widow Shajar al-Durr attached a dome to it. Henceforth, *Maydān Bayn al-Qaṣryn* cought the eyes of prominent Baḥrī Mamluk sultans to construct their religious and funeral architectures within. It is worth mentioning that Baḥrī Mamluk sultans competed with Ayyubid sultans on construction movement in the main ruling area in walled Cairo, i.e. *Maydān Bayn al-Qaṣryn*. This research seeks to study competitive dimension among Ayyubid and Mamluk sultans and its influence on architecture during Baḥrī Mamluk period. It focuses on examining three building in the context of competitive, they are: Madrasa(s) and dome of al-Ṣāliḥ Najm al-Dīn Ayyub, Madrasa of al-Ẓāhir Baybars al-Bunduqdāry and Complex of al-Manṣūr Qalawwn. This research followed analytical and comparative approach. It was concluded that competitive affected prosperously on architecture where each sultan tried to show his edifice more grandiose than that of his predecessors. So, several manifestations of competitive were produced, among them are propagandistic location, speed of terminating construction works, height and measurements.